قصّة النبي سليمان عليه السلام

مقتطفات من أمثال النبي سليمان الحكيم

كتاب الخطيب الحكيم

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الكلمة © 2020

www.alanbiya.org

مدخل إلى قصّة النبي سليمان

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾
[سورة ص: 30]

يرجّح أنّ فترة حكم النّبي سليمان (عليه السلام) امتدّت من سنة 970 ق.م إلى سنة 931 ق.م، واشتهر بقضائه وحكمته. وذكر المؤرّخ اليعقوبي في تاريخه أنّ النّبي سليمان: "كان يجلس للقضاء ويحكم بين بني إسرائيل فيعجبون لحكمه وعدل قضائه وقوله وحسن لفظه".[٢]

وخلف النبي سليمان أباه النبي داود على العرش. ويذكر اليعقوبي أنّ النّبي سليمان شرع في بناء بيت الله المقدّس وقال: "إنّ الله أمر أبي داود أن يبني بيتا، وإنّ داود شغل بالحروب، فأوحى الله إليه: إن ابنك سليمان يبني البيت باسمي".[٣] وكان هذا البيت أوّل مقام قار مخصّص لعبادة الله في القدس، حيث كان بنو يعقوب قبل ذلك يتعبّدون عند خيمة بيت الله التي أقامها النّبي موسى بأمر من الله.

وكان النّبي سليمان الملك الثّالث لبني يعقوب، إلاّ أنّه بعد وفاته انقسمت المملكة إلى قسمين، فانضمّت عشر عشائر من بني يعقوب إلى المملكة الشّمالية وعاصمتها مدينة السّامرة، بينما حكم ذرّية النّبي سليمان في القدس مملكة يهوذا الجنوبيّة. وانضمت إلى حكمهم عشيرة يهوذا وعشيرة بنيمين، إضافة إلى رجال الدّين من عشيرة لاوي.

عُرف النبي سليمان بكونه ذا سلطة وحكمة وغنى يفوق ما حظي به كل الملوك الذين سبقوه (انظر سورة ص: 35). ولكنّه عندما بلغ الكبر خضع للضّعف الإنساني. ووردت عدّة روايات في الكتاب المقدّس تصف هذا الضعف بالتفصيل، فعلى سبيل المثال جاء في التوراة في سفر التثنية 17: 16-17 أنه ينبغي على الملك ألاّ يكثر من الخيرات ولا من الزوجات وألاّ

---

(٢) **اليعقوبي**، *تاريخ اليعقوبي*، دار صادر، بيروت، د.ت.، ج 1، ص 53.

(٣) **اليعقوبي**، ج 1، ص 54.

يدّخر كميّات كثيرة من الفضّة والذهب. والنّبي سليمان (عليه السلام) عندما فعل ذلك حدثت له عدّة مشكلات. وجاء في القرآن ذكر لقول النبي سليمان عندما اعترف أنّ حبّه للخيرات صرفه عن ذكر الله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [سورة ص: 31-33].

ويذكر الطّبري في تاريخه كيف أنّ أحد مستشاري النّبي سليمان يدعى آصف بن برخية اتّجه إلى النّبي سليمان: "فأتاه فقال: يا نبيّ الله، كبرت سنّي، ودقّ عظمي ونفد عمري، وقد حان مني الذهاب. وقد أحببت أن أقيم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأثني عليهم بعلمي فيهم، وأعلّم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال: افعل، فجمع له سليمان النّاس، فقام فيهم خطيبا، فذكر من مضى من أنبياء الله، فأتى على كلّ نبي بما فيه، وذكر ما فضله الله به، حتّى انتهى إلى سليمان وذكره فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأورعك في صغرك، وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما يُكره في صغرك".[٤] ويروي الطّبري بعد ذلك كيف عاتب مستشار النّبي سليمان إذ سمح بعبادة الأصنام في قصره.

ويختلف هذا التصوير المتوازن للنّبي سليمان عن الأوصاف المتعلّقة به في الآداب الهيلينية المتأخّرة، حيث يتمجّد كونه يمارس السّحر وإخراج الشياطين والجنّ بمهارة. وأدّت تلك القصص إلى توظيف اسم النبي سليمان من قبل الوثنيّين في العصر الهيليني في التعاويذ والرُقى.

أمّا قصّة ملكة سبإ (وتدعى بلقيس عند القصّاص والمحدّثين) وزيارتها للنّبي سليمان فهي قصيرة جدّا في الكتاب المقدّس، لكنّ النّاس طوّروها فيما بعد وألحقوا بها تفاصيل إضافية إلى درجة أنّه ورد في التقليد الأثيوبي اليهودي والمسيحي أنّ سليمان عاشر بلقيس فأنجبت ولدا اسمه مناليك الذي أصبح أوّل ملك أكسوم، وأسّس سلسلة ملوك أثيوبيا التي استمرّت حتّى سقوط الملك

---

(٤) **الطبري**، *تاريخ الرسل والملوك*، دار التراث، بيروت، 1387هـ، ج 1، ص 497.

هيلا سيلاسي سنة 1974.
ويُنسب إلى سليمان كتاب يدعى سفر الجامعة (أي كتاب الخطيب الحكيم).
وجاء في هذا الكتاب أنّ النبي سليمان في آخر عمره اقتنع أنّ السّعي وراء الإنجازات البشريّة والحكمة والتّسلية كلّها مجرّد ((هباء في هباء)).
وخلاصة فكره في هذا الكتاب كما يلي: ((هذا يا ولدي ما خلصت إليه من تأملاتي: اتّق الله واعمل بوصاياه، فقد فرض ذلك على جميع رعاياه. والله يجزي كل إنسان على ما أتاه، سرّا كان أم جهرا، حسنات كانت أم سيّئات)) [كتاب الخطيب الحكيم 12: 13-14].

بسم الله تبارك وتعالى

قصّة النبي سليمان (عليه السلام)

النبي سليمان يطلب الحكمة[٦]

تحالف النبي سُليمان (عليه السّلام) مع فِرعون ملك مصر فزوّجه ابنته، ولمّا جاء بها إلى القدس سكنا في حيّ يدعى مدينة داود، إلى حين بناء قصره وبيت الله وسور يحيط بمدينة القدس. ودأب الناس في ذلك الوقت على تقديم الأضاحي في أماكن مختلفة، لأنّه لم يتمّ بعد استكمال بناء بيت لتعظيم اسم الله تعالى. وكان النبي سليمان يُقدِّم الأضاحي ويحرق البخور في هذه الأماكن المختلفة إلا أن ورعه لله شديد، إذ كان حريصًا على اتّباع نصائح أبيه النبي داود كلّها.

وفي أحد الأيّام اتّجه النبي سليمان (عليه السّلام) إلى أهمّ هذه الأماكن وكان يقع في مدينة جِبْعون، وقدّم فيه ألف أضحية وأحرقها بأكملها لله. وفي تلك الليلة تجلّى الله للنبي سليمان في المنام وأوحى إليه: "أطلب ما تريد وأنا لك سميع مجيب". فقال (عليه السّلام): "يا ربّ، إنّك كثير الوفاء لعبدك أبي داود، لأنّه سلك الصراط المستقيم بكلّ أمانة وإخلاص ووفاء. فكنتَ له وفيًّا بأن رزقتَهُ ابنًا يخلفه على عرش المملكة كما هو الحال في هذا الحين. والآن يا الله، لقد جعلتني حَكَمًا خلفًا لأبي داود، رغم صغر سني ولا خبرة لي في حُكم الحاكمين. وها أنا أحكم قوم ميثاقك، وعددهم لا يُحصى لأنّهم كثيرون. فامنحني حكمة لأحكم هؤلاء القوم وأُميّز الخير من الشرّ. فكيف لي أن

---

(٦) استنادا إلى كتاب الملوك الأول 3: 1-15.

أحكُمهم وقد فضّلتهم على العالمين؟"[٧]

فقبل الله طلب النبي سليمان، وأوحى إليه: "لأنّك طلبتَ حكمة لتميّز الحقّ من الباطل ولم تطلب ثروة ولا إطالة عمرك بسنين، ولا موتًا لأعدائك المخاصمين، فإنّي أستجيب لطلبك، فأُعطيك حكمة وبصيرة لا مثيل لهما في العالمين، لا عند السّابقين ولا اللاحقين. وأُهبك أيضًا عزّا وجاهًا وهو ما لم تطلبه، فلا يكون لك مثيل طيلة أيّام حياتك بين الملوك والسلاطين.[٨] وإذا سلكتَ الصراط المستقيم، وحفظت فرائضي ووصاياي كما سلك أبوك داود، أطيل عمرك سنين".

وعندما استفاق سليمان (عليه السّلام) من نومه، علم أنّ الله قد أوحى إليه في المنام. فاتّجه نحو القدس، وأمام صندوق الميثاق قدّم أضاحي وأحرقها بأكملها لله، وقدّم أضاحي أخرى طلبًا للسلام وأعد بها مأدبةً جمع فيها كل رجال حاشيته.

عظمة حكمة النبي سليمان[٩]

وفي أحد الأيام جاءت امرأتان (بائعتا هوى) إلى سليمان (عليه السّلام) ليحلّ خلافًا بينهما. فبادرت إحداهما قائلة: "يا مولاي، أنا أُقيم مع هذه المرأة في بيت واحد، وقد ولدتُ فيه، وبعد يومين ولدت هذه المرأة أيضًا. وكنّا في هذا البيت ولا أحد غيرنا. وأثناء الليل انقلبت هذه المرأة على ابنها في نومها، فقتلته، ولمّا استفاقت عند منتصف الليل استبدلت ابنها الميت بابني بينما كنتُ نائمةً. وفي الصباح قمتُ لأُرضع ابني فوجدتُهُ ميتًا، وعندما تمعّنت فيه تأكّدت أنّه ليس ابني". فقاطعتها المرأة الثانية قائلة: "كلاّ، إنّ الحيّ هو ابني والميت هو ابنك". فأجابتها المرأة الأولى: "كلاّ، بل الميت ابنك والحيّ ابني". وتجادلتا أمام الملك سليمان.

فقال لهما: "كلاكما تقول إنّ الحيّ ابنها وإنّ الابن الميت للأخرى. حسنًا. يا حرّاس، أريد سيفًا!" وعندما جاؤوه بالسيف، أمر صارمًا: "أُشطروا هذا

---

[٧] انظر سورة البقرة: 122.

[٨] انظر سورة ص: 35.

[٩] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 3: 16-28.

الصبيّ الحيّ وأعطوا شطرًا لكلّ واحدة!" فقالت والدة الطفل الحيّ وقد تحرّكت فيها أحاسيس الأمومة: "أرجوك يا مولاي! لا تفعل هذا! أعطِها الطفل الحيّ ولا تقتلوه!" فقاطعتها المرأة الثانية: "بل أشطروه! لكي لا يكون لواحدة منا!" عندئذ أصدر النبي سليمان قراره: "لا تقتلوا الولد، بل أعطوه لتلك المرأة الّتي أرادت له الحياة لأنّها أُمّه!" وعندما سمع بنو يعقوب بالحُكم الّذي حكم به سليمان (عليه السّلام)، ازدادت هيبتهم نحوه لأنّهم عرفوا أنّ الله منحه الحكمة ليحكم بالعدل والإنصاف.

وتمتّع جميع قوم بني يعقوب بالأمان في منطقتي يَهوذا والسامرة، فلا خوف على بيوتهم ولا حقولهم طيلة حكم النبي سليمان، من دان في الجولان شمالاً إلى بئر السبع جنوبًا. وكان للنبي سليمان أربعون ألف معلف لخيل مركباته، واثنا عشر ألف فرس. وكان ولاة أقاليم بلاده الاثنا عشر يمدّونه وحاشيته بالمؤونة، كلّ حسب دوره على امتداد أشهر السنة، وهكذا لم يعد يعوزهم شيئًا. وكان هؤلاء الولاة يجلبون أيضا الشعير والتبن للخيل والبغال إلى مكان ربوضها.

ومنح الله النبي سليمان من الحكمة والبصيرة ما لا نظير له، ومنحه أيضًا رحابة صدر كرِمال الشاطئ لا تحصى ولا تحدّ. ففاقت حكمته حكماء المشرق وحكماء مصر كلّهم كما تفوق في حكمته على الناس جميعًا ومنهم إيتان الأزراحيّ، وأبناء ماحول: هيمان وكَلكول ودَردَع. وذاع صيته بين جميع البلدان المجاورة. ونطق بثلاثة آلاف مَثَل، أمّا أناشيده فبلغت ألفًا وخمسًا. ووصف بعلمه العميق أنواع الأشجار وصنّفها، مِن الأرز في لبنان إلى الزّوفى الّتي تنبُت على الحائط، كما وصف كلّ أنواع البهائم والطير والزّواحف والسّمك وصنّفهم جميعًا. وأرسل الملوك من أقاصي الأرض إلى النبي سليمان مبعوثين محمّلين بالهدايا للاستفادة من حِكمته.

الاستعداد لبناء بيت الله في القدس[1]

وكان حيرام ملك صورصديقا مخلصا للنبي داود (عليه السّلام) طيلة أيّام حياته، وقد أرسل إلى سليمان (عليه السّلام) وفدًا ليهنئه عندما اعتلى عرش

---

[1] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 5: 1-18.

المملكة مكان أبيه. فأجابه النبي سليمان بدوره وأرسل له رسالة قال فيها: "بعد التحية، لا بدّ أنّ جلالتك على علم أنّ أبـي داود لم يتمكّن من بناء بيت يعظّم فيه اسم الله تعالى، بسبب الحروب الّتي شنّها عليه أعداؤه المجاورون، فلم يتمكّن من بناء هذا البيت حتّى أمدّه الله عليهم بنصر عظيم. أمّا الآن فقد حقّق الله ربّي السلام وجعله ينتشر على كلّ حدود مملكتي، فلا خصم ولا عدو، ولا خوف من نشوب حروب، فأنا مستعد الآن أن أبني بيتًا يعظّم فيه اسم الله ربّي تنفيذًا لِما أوحى به تعالى لأبـي داود، وهذا ما جاء في وعده تعالى: "إنّ ابنك الّذي سيخلفك على العرش المقيم هو من يرفع لي قواعد بيت يعظّم فيه اسمي بين العالمين." والآن أرجوك أن تطلب من رجالك أن يقطعوا لي أرزًا من لبنان، وسيساعدهم رجالي، وأنا أدفع إليك بالمقدار الّذي تريد أجرة لرجالك. فنحن لا خبرة لنا مثلكم في مدينة صيدا في قطع الخشب كما تعلم!"

ولمّا وصلت هذه الرسالة إلى الملك حيرام غمره فرح شديد وقال: "سبحانك يا الله تبارك اسمك وتعالى فقد رزقت داود ابنًا حكيمًا على هذا الشعب العظيم." ثمّ أرسل ردًّا على الرسالة إلى النبي سليمان قائلاً: "بعد التحية، لقد وصلتني رسالتك، وأنا مستعد لأزوّدك بكلّ ما تحتاجه من خشب الأرْز والسَّرْو كما طلبت. وسيُنزل رجالي قطع الخشب من جبال لبنان إلى البحر الأبيض المتوسّط، ثمّ يربطونها في شكل حُزم ويجعلونها فوق الماء ويوجّهونها إلى الاتجاه الّذي تحدّده أنت ليستلمها رجالك هناك، ويفكّون هذه الحُزم. وأطلب من جلالتك أن تزوّد قصري الملكي بالمؤونة اللازمة مقابل هذا الخشب."

وهكذا كان الملك حيرام يُزوّد سليمان (عليه السّلام) بكلّ ما يحتاج من خشب الأرز والسرو. وفي المقابل كان النبي سليمان يزوّد قصر الملك حيرام كلّ سنة بمئة ألف كيس من الحنطة وعشرين ألف برميل من زيت الزيتون. وأبرم النبي سليمان والملك حيرام معاهدة سلام بينهما. وكان الله وفيًّا بوعده فمنح النبي سليمان حكمة فائقة.

وجمع النبي سليمان (عليه السّلام) من كلّ أصقاع بلاده ثلاثين ألف رجل. وجعل عليهم أدونيرام رئيسًا، وكان يرسل منهم في الشهر الواحد إلى لبنان

عشرة آلاف رجل مناوبةً، فيقضون شهرًا في لبنان وشهرين في بيوتهم. وكان للنبي سليمان في الجبال ثمانون ألف رجل يقطعون الحجارة وسبعونَ ألفًا آخرين يحملونها وأقام أيضًا مشرفين على الأعمال ووصل عددهم إلى ثلاثة آلاف وثلاث مئة رجل. وأمر (عليه السّلام) أن يقتلعوا حجارةً كبيرةً ذات جودة عالية لرفع قواعد البيت. واشترك في نحت الحجارة كلّ من نحاتي النبي سليمان والملك حيرام، كما ساعدهم عمّال مختصّون من مدينة جُبَيل، وهكذا هيّأوا الأخشاب والحجارة لبناء بيت الله تعالى.

بناء بيت الله[٢]

وفي السنة الرابــعة من حكم سليمان (عليه السّلام) وتحديدًا أثناء فصل الربيع[٣]، شُرع في بناء بيت الله. ويوافق هذا التاريخ السنة الأربع مئة والثمانين بعد تحرير بني يعقوب وخروجهم من أرض مصر.

وأُعِدَّت الحجارة المخصّصة لبناء بيت الله مسبقًا في المقلع، لكي لا يُسمع صوت مِطرقة ولا إزميل ولا أي أداة من حديد في كلّ أرجاء الحرم الشريف.

ولمّا شُرع في بناء بيت الله، أوحى الله إلى النبي سليمان (عليه السّلام) قائلاً: "إذا عملت بفرائضي وأحكامي وحرصت على اتّباع هذه القوانين، أحقّق من خلالك ما وعدتُ به أباك داود من وعد أمين، وأحلّ في هذا البيت الّذي تبنيه وأحمي قوم ميثاقي بني يعقوب وأحفظهم وعلى مدى السنين".

وتمّ تصميم بيت الله حسب المواصفات التي أوحى بها الله تعالى، واستغرق بناؤه سبع سنين.

نقل صندوق الميثاق[٤]

ثمّ طلب سليمان (عليه السّلام) من شيوخ بني يعقوب وجميع كبار العشائر وزعمائها أن يجتمعوا في القدس، لِيَنقلوا صندوق الميثاق من حيّ مدينة داود

---

(٢) استنادا إلى كتاب الملوك الأول 6: 1، 7، 11-13، 38.

(٣) وتحديدا شهر زيو، وهو يقابل شهر نيسان أو أيار.

(٤) استنادا إلى كتاب الملوك الأول 8: 1-13.

إلى بيت الله فوق سفح الجبل.[٥] واجتمع هؤلاء جميعا في عيد الخيام، وتحديدا في بداية الخريف[٦]. وعندما وصل الشيوخ، نقل الأحبار صندوق الميثاق وخيمة بيت الله بما فيها من أوان مقدّسة. ووقف سليمان (عليه السّلام) مع كلّ الّذين احتشدوا من بني يعقوب أمام صندوق الميثاق وذبحوا منَ الغنم والبقر ما لا يُحصى ولا يُعَدّ. ثمّ أدخل الأحبار صندوق الميثاق في المحراب الأقدس، ووضعوا فوقه شكلين لاثنين من حملة العرش، وكانت أَجنحتهما تظلّلانه مع اثنين من العصيّ الّتي يُحمل بها. وكانت هذه العصيّ طويلة، فأطرافها تُرى من خارج المِحراب، ولكنّها لا تُرى خارج البيت المقدّس. وهي موجودة إلى يومنا هذا. وهذا الصندوق يحتوي بداخله فقط على لوحي الحجر اللذين وضعهما فيه النبي موسى في جبل سيناء، عندما أقام الله ميثاقه مع بني يعقوب بعد خروجهم من مصر.

وما إن خرج الأحبار من المحراب المقدّس حتّى ملأ الغمام أرجاء بيت الله، فلم يستطع الأحبار إتمام أداء شعائرهم، لأنّ نور جلال الله قد ملأ البيت. ثمّ توجّه النبي سليمان إلى الله بهذا الدعاء:

"اللهم، لقد وعدت أنّك تتجلّي في ظلل من الغمام
ولإكرامك يا ربّ بنيتُ هذا البيت العظيم،
مكانا تحلّ فيه سكينتك يا الله إلى أبد الآبدين!

النبي سليمان يخاطب قومه[٧]

ثمّ التفت سليمان (عليه السّلام) إلى جماعة بني يعقوب الواقفين أمامه، وطلب لهم بركة من الله. وقال: "تبارك الله الّذي يعبده بنو يعقوب، لأنّه أتمّ وعده لأبـي داود، عندما قال: "منذ أخرجتُ قوم ميثاقي من مصر لم أرتض مدينةً من كلّ مدنهم ليقام فيها بيت يُعظّم فيه اسمي بين العالمين، لكنّي

---

[٥] كان حيّ مدينة داود على أطراف القدس، بينما كان موقع بيت الله في قمّة الجبل الذي بنيت عليه مدينة القدس، فتمّ نقل صندوق الميثاق من أسفل الجبل إلى الأعلى.

[٦] يقابل شهر أيثانيم في تقويمهم.

[٧] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 8: 14-21.

اخترتُ داود ليكون حَكَما عادلاعليهم أجمعين".[٨]

ثمّ أضاف النبي سليمان: "وأخذ في لبّ أبـي داود أن يقيم هذا البيت ليعظّم فيه شأن الله. فقد أوحى إليه تعالى: "لقد أحسنت فيما تريد، ولكنّك لن تَبني هذا البيت المجيد، وإنّما يبنيه ابن من صلبك مولود". وتحقّق وعد الله وخلفتُ مكان أبـي داود وجلستُ على عرش بني يعقوب، وأقمت هذا البيت ليعظّم فيه اسم الله الّذي يعبده بنو يعقوب، وأعددتُ مكانًا للصندوق الّذي وضعت بداخله لوحي الميثاق الّذي أقامه الله مع آبائنا الأوّلين حينَ أخرجهم من مصر".

دعاء النبي سليمان[٩]

ووقف النبي سليمان (عليه السّلام) أمام المذبح النحاسيّ في الحرم بـحضور جماعة بني يعقوب وبسط يدَيه في دعاء نحوَ السّماء قائلاً: "اللهمّ يا مَن يعبده بنو يعقوب، لا إله غيرك في السماوات والأرضين، يا حافظ الميثاق، أيّها الوفيّ لأولئك الّذين يسلكونَ بصدق الصراط المستقيم. يا الله، لقد وفيتَ بوعدك لأبي داود، وحقّقت كلامك الأمين. والآن يا الله، يا من يعبدك بنو يعقوب، رجائي أن تحقّق الوعد الآخر الّذي وعدته لأبي داود عندما أوحيت إليه: 'إذا حرص بنوك على اتّباعك فساروا، كما سرت أنت، في السبيل القويم، لا ينقطـع من نسلك رجلٌ يعتلي عرش مملكة بني يعقوب المقيم'. اللهمّ حقّق هذا الوعد العظيم".

وأضاف النبي سليمان قائلا: "ولكن أيُعقل أن يسكن الله على الثرى؟ يا مَن وسع عرشك السّماوات، فكيف يتّسع لك هذا المبنى؟[١] اللهمّ، اصغِ لدعائي وتضرّعي، أنا عبدك، وأنت السميع المجيب. هذا هو المقام الّذي اخترته لتعظيم اسمك بين العباد، فاحفظه ليل نهار وكلّما توجّهتُ إليه للصلاة،

---

[٨] يؤكد الله تعالى أنه لم يختر مكانا معينا ولكنه اختار شخصا معينا لإقامة هذا المكان المقدس.

[٩] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 8: 22-53.

[١] كان من البديهي للنبي سليمان أن يطرح هذا السؤال، فكيف يظنّ الإنسان أن الله يحتاج لبناء بيت ليحلّ فيه وهو ملك السماوات والأرض؟ انظر سورة البقرة ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255]. ونجد في الإنجيل أنّ خيمة بيت الله الذي أقامه النبي موسى، وبيت الله الذي أقامه النبي سليمان من حجر في ما بعد، هما مجرّد صورة عن بيت الله الروحي الحقيقي الذي قصد تعالى أن يقيمه بين الناس بمجئ السيد المسيح. أنظر رسالة أفاسوس 2: 21 ورسالة صخر الأولى 2: 5.

واستجب إلى تضرّعاتي وتضرعات قوم ميثاقك كلّما ولّوا وجوههم إلى هذا المقام الشريف،[٢] فأنت السميع من عَليائك في عِليّين وأنت الغفور لذنوب العابدين.

فإن أخطأ أحد في حقّ آخر، وجاءوا به أمام مذبح الأضاحي في حرم بيتك المقدّس، وأقسم ببراءته اليمين، فأنت من السّماء العليم السميع وأنت الحَكَم العدل بين عبادك المؤمنين، فعاقب اللهمّ المذنب حسب ذنبه، وفك قيد البريء المستقيم.

"وإذا وقع بنو يعقوب أمام أعدائهم بسبب خطيئتهم بحقّك منهزمين، ثمّ تابوا إليك توبةً نصوحًا وطلبوا غفرانك في هذا البيت المقيم، فأنت السميع من عليائك وأنت لكلّ خطاياهم الغفور الرحيم، وردّهم إلى الأرض الّتي أعطيتَها لآبائهم الأوّلين.

وإن أغلقت أبواب السّماء وحبست عنهم المطر لأنّهم أخطأوا بحقّك جاحدين، وإذا تابوا إليك بعد الذل الذي أنزلته عليهم وولّوا وجوههم إلى هذا المقام واعترفوا بكلّ الآثام الّتي ارتكبوها تائبين، فيا ربّ اسمع من عُلاك واغفِر آثام بني يعقوب إنّهم قوم عابدون، واهدِهِم الصراط المستقيم، وأنزل غيثك على هذه الأرض الّتي ائتمنت عليها آباءهم الأوّلين.

وإذا أصيبت الأرض بمجاعة أو وباء أو جَفاف أو يَرَقان أو جَراد أو جندب، أو حاصر الأعداء بني يعقوب في مدنهم، ومهما كان نوع المصائب التي قد تحلّ عليهم، لكن إذا تضرع إليك أحدهم من الصميم، ورفع يديه إليكَ ووجّه دعاءه من هذا البيت المقيم، فاستجب له يا الله من عليائك، واغْفِرْ له واجْزِ كلّ واحد حسب أعماله يا أيّها الغفور، لأنّك أنت وحدك عليم بذات الصدور. فيتّقونك ما داموا على هذه الأرض الّتي ائتمنت عليها آباءنا الأوّلين. ويقبل أفراد من أمم أخرى من أقاصي الأرض فيعبدوك ويقيمون الصلاة في هذا البيت مخلصين، عندما تبلغهم عظمة شأنك وما أقمته بقوّتك أيّها الجليل العظيم. فاستجب يا الله من عليائك، وهب لهم كلّ ما يطلبونه منك، فتعرف جميع أمم الأرض مدى عظمة شأنك كما يعلم ذلك عبادك

---

[٢] انظر سورة البقرة: 148. ورأى الثعلبي والطبري من هذه الآية أن لكل ملّة قبلتها الخاصّة.

المخلصون، إنّهم يعلمون علم اليقين أنّ هذا البيت يُرفع فيه ذكرك العظيم.

"وإذا حارب قوم ميثاقك أعدائهم وَفقَ أمرك تعالى، وولّوا وجوههم شطر هذه المدينة الّتي اخترتَها والبيت الّذي أقمتُه لإكرام اسمك الكريم، فاستجب يا الله لصلاتهم وتضرّعاتهم وانصُرْهم على أعدائهم أجمعين.

"يا ربّ، هل يوجد إنسان بلا خطيئة؟ وإذا أخطأ قوم ميثاقك في حقّك، وغضبتَ عليهم وجعلتَ أعداءهم عليهم ينتصرون، ويأخذونهم أسرى إلى بلاد أخرى في أقاصي الأقاليم، ثمّ عادوا إلى صوابهم في الأرض الّتي كانوا فيها مأسورين، فناجوك تائبين: "اللهمّ لقد أخطأنا وفي الضلال سلكنا وما أكبر ذنبنا،" وتابوا إليك توبةً نصوحًا حين ولّوا وجوههم إلى أرضهم الّتي ائتمنت عليها آباءهم الأوّلين، وهذه المدينة المختارة وهذا البيت الّذي أقمتُه ليعظّم فيه اسمك العظيم، فاستجب يا الله لصلاتهم وتضرّعاتهم من عليائك يا أرحم الراحمين، وانصُرْهم، واغفِرْ لهم سيئاتهم مهما تفاقمت، واجعل الرحمة في قلوب آسريهم المنتصرين. فهُم قوم ميثاقك وخاصّتك الّذينَ أخرجتَهم من مصر محرّرين، من أتون العذاب الأليم. اللهمّ إنّك سميع بصير لتضرّعات عبدك، ولتضرّعات قوم ميثاقك، واستجب لهم كلّما استغاثوا إنّك أنت السميع المجيب. لقد أنعمتَ اللهمّ يا مولاي بنعمتك عليهم وفضّلتهم على العالمين، كما أوحيت لنا على لسان عبدك موسى، حينَ أخرجتَ من مصر آباءنا الأوّلين".

النبي سليمان يطلب بركة الله على قومه[٣]

ولمّا انتهى النبي سليمان (عليه السّلام) من تضرعاته أمام المذبح في الحرم حيث كان راكعًا ويداه مبسوطتان إلى السماء، وقف وطلب بركة من ربّه على الحشود بِصوت مسموع، فقال: "تبارك الله الّذي أنعم بالفرج على بني يعقوب وجعلهم سالمين، كما جاء على لسان عبده موسى الأمين، إنّه الوفيّ بجميع وعوده العظيمة. ليكن الله ربّنا معنا خير حافظ كما حفظ آباءنا الأوّلين، ولا يخذُلُنا ولا يتخلّى عنا، وليجذب قلوبنا إليه فنتبع الصراط المستقيم ونعمل بوصاياه وفرائضه وأحكامه الّتي بها أمر آباءنا الأوّلين.

---

[٣] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 8: 54-61.

ولتظلّ تضرّعاتي أمامه في كلّ حين، حتّى ينصرني أنا عبده وينصر قوم ميثاقه بني يعقوب في كلّ الأزمان والأحايين، لكي تعلم شعوب الأرض برمّتها علم اليقين أنّ الله هو ربّ العالمين، ولا إله إلاّ هو الحيّ القيوم. أمّا أنتم يا قومي، فكونوا لله مولاكم دائما مخلصين، وأطيعوا فرائضه ووصاياه، كما اليوم تفعلونَ".

تدشين بيت الله[٤]

وعندما فرغ النبي سليمان (عليه السّلام) من الدعاء، نزلت نارٌ من السماء فالتهمت الأضاحي والقرابين، وحلّ بهاء الله فملأ أرجاء البيت، فلم يتمكّن الأحبار من دخول بيت الله. ولمّا شاهد الحاضرون النار وهي تهبط وبيت الله يمتلئ بجلاله تعالى، سجدوا على البلاط وسبّحوا بحمد الله، منشدين: "الله كلّه خيرٌ، ووفاؤه يدوم إلى أبد الآبدين."

وقدّم النبي سليمان وجميع قومه أضاحي اكراما لله، اثنين وعشرين ألفا من البقر، ومئة وعشرين ألفا من الغنم. ووقف الأحبار في المكان المخصّص لهم ونفخوا الأبواق، وفي الجهة المقابلة وقف اللاويّونَ وهم يعزفون على الآلات الّتي صنعها داود (عليه السّلام) للتسبيح وردّدوا أناشيد من كتاب الزبور: "الله كلّه خيرٌ، ووفاؤه يدوم إلى أبد الآبدين."

ثمّ دشّن سليمان (عليه السّلام) جزءا من الحرم وتحديدا الجزء الأمامي لبيت الله وجعله مكانًا لتقديم الأضاحي وحرقها بأكملها، لأنّ المذبح النحاسي الّذي أقامه لم يكن يتّسع لكلّ هذه الأضاحي. وفي الأسبوع الموالي احتفل النبي سليمان مع قومه بعيد الخيام، وكان الحضور غفيرا، إذ قدم من كلّ صوب، من لَبْوَة في إقليم حماة شمالاإلى وادي العريش جنوبا. ودامت الاحتفالات أسبوعين، في الأسبوع الأوّل وقع تدشين مذبح حرم بيت الله. أمّا الأسبوع الثاني فخصّص للاحتفال بعيد الخيام، وفي اليوم الأخير أقاموا حفلةً ختامية. وعند انتهاء الاحتفالات صرفهم النبي سليمان إلى ديارهم فرحين، منشرحي الصدور، لِما أفاضه الله من خير على النبي داود وعلى ابنه سليمان، وعلى قوم ميثاقه بني يعقوب.

---

[٤] استنادا إلى كتاب أخبار الأيام الثاني 7: 1-10.

الله يتجلّى للنبي سليمان[٥]

أتمّ النبي سليمان (عليه السّلام) بناء بيت الله وقصره الملكي، ونجح في كلّ الأعمال الّتي عزم عليها. وأثناء الليل تجلّى الله له وأوحى إليه قائلاً: "إنّي لدعائك سميعٌ مجيب، لذلك قبلت أن تُقدَّم في هذا البيت الأضاحي والقرابين. فإن أغلقتُ أبواب السماء وحبستُ المطر عن قوم ميثاقي أو أمرتُ جرادا بأن يأكل زرعهم، أو أرسلتُ عليهم وباء، ثمّ يتوقّفون عن تكبّرهم الأثيم، ويتضرّعون إليّ ابتغاء وجهي الكريم، ويرجعون عن كلّ ما ارتكبوه من سوء تائبين، فأنا لهم سميعٌ بصير ولخطاياهم رحيم غفور ولأرضهم مُخصب من جديد. ومن الآن، فإنّي لهذا البيت رقيبٌ أمين، ولكلّ الصلوات التي تقام فيه سميع مجيب. فأنا اخترتُهُ وسخّرتُه ليُرفع فيه اسمي في كلّ حين، وأكون لهذا البيت خير حافظ إلى أبد الآبدين. أمّا أنت يا سليمان، فإن سلكتَ كما سلك أبوك داود صراطي المستقيم، وعملتَ بكلّ أوامري، وحفظت فرائضي وأحكامي، فإنّي أجعل عرش مملكتك على أسس ثابتة يقيم، وأجعل عليه أحدا من ذرّيّتك إلى أبد الآبدين، كما وعدتُ أباك داود الأمين. لكن إذا تركتم فرائضي ووصاياي منحرفين، وعبدتم آلهةً دون الله ولها انحنيتم ساجدين، فإنّي أجتثّكم من الأرض الّتي جعلتكم عليها مؤتمنين، وأنبذ هذا البيت الّذي سخّرتُه ليُرفع فيه اسمي الكريم، ويصبح مضربا للأمثال، ومنه تسخر شعوب العالمين. ويعمّ الخراب في هذا البيت العظيم، وكلّ مَن يمرّ به يتساءل في دهشة: لماذا أنزل الله كلّ هذه الفظائع على هذه الأرض وهذا المقام القديم؟ فيأتيهم الجواب: "لأنَّهم تركوا الله ربّ آبائهم الأوّلين، ربّهم الّذي أخرجهم من أرض مصر محرّرين، واتّخذوا من دونه آلهة وسجدوا لها عابدين".

النبي سليمان وزوجاته[٦]

وعشق سليمان (عليه السّلام) إلى جانب ابنة فِرعون نساء كثيرات من بلاد

---

[٥] استنادا إلى كتاب أخبار الأيام الثاني 7: 11-22.

[٦] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 11: 1-3.

موآب وعمّون وأدوم وصيدا والحِثّيّين، وتزوّج بهنّ رغم أنّ الله نهى عباده عن التصاهر مع هذه الأمم الوثنية، لعلها تجرّهم إلى التضليل وعبادة الأوثان من دونه تعالى. ورغم ذلك فقد واصل النبي سليمان (عليه السّلام) عشقه لهؤلاء النسوة. وتزوّج سبع مئة زوجة من الأميرات وثلاث مئة جارية، فكلّ هؤلاء النسوة جذبن قلبه.

بلقيس ملكة سبأ في قصر سليمان (عليه السّلام)[٧]

بلغ صيت النبي سليمان (عليه السّلام) الذي رفع ذكر ربّه إلى ملكة سَبأ في اليمن، فاتّجهت إلى القدس لتسأله وتمتحنه. ووصلت القدس في موكب عظيم ومعها جمال محمّلة بالطيب وكثير من الذهب والحجارة الكريمة، وعند لقائها بسليمانَ (عليه السّلام) كشفت له ما يجول في خاطرها. فأجابها (عليه السّلام) عن كلّ استفساراتها بكلّ براعة. فذهلت ملكة سَبأ من حكمةَ النبي سليمان، وانبهرت بفخامة قصره، وتنوّع طعام موائده، ونظام مجلس حاشيته، وهندام خدامه وسُقاته، واندهشت من الأضاحي الّتي كان يقدّمها في بيت الله. فقالت له: "إنّ كلّ ما بلغني من أخبار في بلادي عن إنجازاتك وحكمتك، لا يقبل الشك! لكنّي ما صدقت ما بلغني حتّى شاهدتُ بأمّ عيني! إنّ حكمتك وثروتك أكبر مما بلغني عنك وأعظم ممّا أخبر عنها المشاهدون. هنيئا لرجال حاشيتك فهُم في مَحضرك دائمًا بحكمتك ينعمون! تبارك الله ربّك الّذي رضي عنك وجعلك تعتلي عرش بني يعقوب. ولأنّ الله يحبّ بني يعقوب إلى أبد الآبدين، فقد أقامك ملكا لتحكم بالعدل والإنصاف العظيم." ثمّ قدّمت ملكة سَبأ لسليمان (عليه السّلام) عشرين قِنطارا من الذهب وكثيرا من الطيب والحجر الكريم. وكان مقدار الطيب كثيرا إلى درجة أنّ النبي سليمان لم يحصل على مِثله بعد ذلك الحين. وقدّم النبي سليمان لملكة سَبإ كلّ ما طلبتْه، وغمرها بهدايا عادة ما يتداولها الملوك فيما بينهم والسلاطين، ثمّ عادت إلى بلادها مع حاشيتها راحلين. وحملت سفن الملك حيرامَ القادمة من أوفير ذهبا وكثيرا من خشب الصَندل وكل أنواع الحجر الكريم. فأمر سليمان (عليه السّلام) أن يُستعمل خشب الصّندل لصنع زوايا داخل بيت الله كما أمر

---

[٧] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 10: 1-13.

بصنع قيثارات ورباب للمُغنّين في القصر مع أنّه لم يسمح باستعمال مِثل ذلك الخشب من قبل. ولم يشاهد نظير لهذا الخشب إلى اليوم.

ثروة النبي سليمان[٨]

وكان سليمان (عليه السّلام) يستلم سنويًا ما يقارب ثلاثة وعشرين طنًّا من الذهب دون احتساب الذهب الذي يدفعه التجّار وجميع ملوك العرب وولاة البلاد. وأمر النبي سليمان بصنع مئتي تُرس كبير من ذهب مطروق، وزن الواحد ثلاثة كيلوجرامات ونصف من الذهب الخالص، وثلاث مئة تُرس صغير من ذهب مطروق، وزن الواحد منها كيلوجرام وثلاثة أرباع من الذّهب، وحفظها في قصر يدعى غابة لبنان. كما أمر (عليه السّلام) بصنع كرسي كبير لعرشه من عاجٍ وألبسه ذهبا خالصا. ويتكوّن كرسي عرشه من سِتّ درجات ورأس مستديرة من الخلف، وعلى جانبي المقعد يَدان وتمثالان لأسدين واقفين عند اليدَين، ونصب اثنا عشر تمثالا لأسود منتصبة على الدّرجات الستّ من هنا ومن هناك، وما من نظير لعرش مملكته في الدنيا كلّها. وجعل النبي سليمان جميع كؤوسه وكلّ الأدوات في قصر غابة لبنان من الذهب الخالص، ولم يكن بينها أدوات من فضّة، لأنّ الفضّة لا قيمة لها في أيّامه. وكان لسليمان (عليه السّلام) سفن تجاريّة، وكانت تبحر مع سفن الملك حِيرام وتعود مرّة كلّ ثلاث سنوات محمّلة بالذهب والفضّة والعاج والقُرود والطواويس. وتفوّق النبي سليمان على جميع ملوك الأرض بثروته وحكمته. وكان الناس يتوافدون عليه من كلّ أصقاع الأرض ملتمسين منه شرف الشورى وسماع الحكمة الّتي منحه الله إيّاها. وسنة بعد أخرى كان الناس يتوافدون عليه أفواجًا أفواجًا محمّلين بهدايا: أوان فضّيّة وأخرى ذهبية وملابس وأسلحة وطيب وخيل وبــغال.

وجمع النبي سليمان (عليه السّلام) جيوشا من مَركبات وخَيل، تتألف من ألف وأربع مئة مركبة واثني عشر ألف فرس، وجعل بعضها يتمركز في المدن المحصَّنة وبعضها الآخر على مقربة منه في القدس. وصارت الفضّة في القدس من كثرتها كالحجارة وصار خشب الأرز الثمين من كثرته

---

[٨] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 10: 14-29.

كالجُمَّيز في السّهول. وكان تجّار النبي سليمان يستوردون الخيل من كيليكية والمركبات من مصر ويُصدّرونها لملوك الحِثّيّين والآراميّين. ويعادل ثمن المركبة ستّ مئة قطعة من الفضّة، وثمن الفرس يساوي مئة وخمسين منها.[٩]

ما سيحدث بعد أيام سليمان[١]

لذلك أوحى الله إلى النبي سليمان: "بما أنّك لا تأبه بوصاياي ولا تعمل بفرائضي الّتي أمرتُك بها، فمِن بين يديك أنزع المملكة وأجعل عليها رجلا من حاشيتك المأمورين. لكنّي لا أفعل ذلك في أيّامك إكراما لأبيك داود، بل في أيام ابنك. ولا أنزع منه المملكة كلّها، بل أستثني عشيرة واحدة إكراما لداود عبدي وللقدس المدينة الّتي اخترتُها".[٢]

وفاة سليمان (عليه السلام)[٣]

ودام النبي سليمان على عرش بني يعقوب في القدس أربعين عاما، ثمّ رقد في قبره في حيّ مدينة داود مع آبائه الأوّلين، وخلفه على عرش المملكة ابنه رَحبعام.

---

[٩] انظر سورة ص، الآيات 31-33.

[١] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 11: 11-13.

[٢] انظر المقال في هذا المجلّد: "رؤية في عصمة الأنبياء".

[٣] استنادا إلى كتاب أخبار الأيام الثاني 9: 30-31.

مدخل إلى كتاب أمثال النبي سليمان

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾
[سورة العنكبوت: 43]

كتاب الأمثال هو بمثابة جمع لعدة مجموعات من الأقوال والحكمة ومنها ((أمثال سليمان بن داود)) [من 1: 1 إلى 22: 16]، ومجموعة ثلاثين قولا للحكماء [من 22: 17 إلى 24: 22]، ومجموعة أخرى تسمّى ((المزيد من أمثال سليمان التي سجّلها رجال حِزقيّا ملك يهوذا)) [الفصول ما بين 25 و29]، ومجموعة ((أقوال أجور بن ياقا)) [الفصل 30]، ومجموعة ((أقوال الملك لموئيل التي علمته إيّاها أمّه)) [الفصل 31]. وتوجد أيضا مجموعات صغيرة أخرى في ثنايا هذا الكتاب، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة اللتين ربّما أضيفتا في زمن لاحق.

ومن الواضح في كتاب الأمثال أنّ النبي سليمان (عليه السلام) تعامل مباشرة مع أغلب المواد فيه، ونقرأ أنه ألّف أكثر من 3000 مثل من تلقاء نفسه (انظر كتاب الملوك الأوّل 4: 32)، وحظي بحكمة فائقة. ورغم ذلك يرى أكثر الباحثين أن التحرير النهائي لكتاب الأمثال تمّ بعد نهاية سبي بني يعقوب في بابل بقليل. وتوجد أمثال مماثلة لكثير من هذه الأمثال في أدبيات مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرهما من الحضارات القديمة -وهذا بديهي- إذ كان شائعا في العالم القديم أن تنتشر مثل هذه الأمثال وتُجمع في عدّة أماكن من قبل هواة الحكمة.

ويبدو أنّ أكثر المواد في هذه الأمثال كانت في الأصل بمثابة نصائح أبوية موجّهة للأبناء، أي تلك التي احتوت تحذيرات من الزنى، إضافة إلى نصائح أخرى موجّهة للنجاح في العمل. ولكن بعد زمن أضيفت بعض المواد الأخرى لمخاطبة جمهور أوسع لا يقتصر على الشباب فقط. ويمكننا أن نلاحظ وجود بعض الأمثال التي أضيفت إلى الكتاب وتتعلّق بقيمة الأمهات

ومواضيع أخرى تحظى بأهمية عند عامّة الناس.
ويهدف هذا الكتاب إلى تعليم الحكمة للناشئة والكبار على حدّ سواء. والحكمة في اعتقاد القدامى هي أقوال ذات مفاهيم عملية للإنسان تدفعه إلى الفلاح في حياته، وهي ليست أفكارا نظرية فحسب. ويذهب القدامى إلى أنّ صانع الجواهر الماهر يتّصف بالحكمة شأنه شأن الملك الذي يحكم شعبه بالفطنة والذكاء. إنّ الحكمة على هذا المنوال تجعل الإنسان ناجحا في حياته ومستمتعا بعمر أطول، والأهمّ من ذلك كله أن يكون مؤمنا مستقيما. ويأتي في هذا الكتاب تصوير للحكمة على أنها الكائن المميّز لدى الله وهو شبيه بامرأة مضيافة محترمة مثل المضيفات في الثقافة البدوية العشائرية. ومن ناحية أخرى، تمّ تشبيه الغباء بامرأة غانية، ويحمل هذا التشبيه تلميحا بضرورة أن يسعى الشّاب إلى الحكمة الفاضلة، ولا يقع ضحية للمرأة الغانية.
ورأى بعض المؤمنين أن تقديم الحكمة كامرأة حكيمة في كتاب الأمثال هو تلميح إلى شخص السيد المسيح، إذ ورد وصفه في الإنجيل الشريف ككلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء فأصبحت إنسانا. ويعرض السيد المسيح على البشر الحق والنعيم عندما يصبحون من أتباعه، وهو ما نراه في دعوة الحكمة إلى الفلاح في الفصول من 1 إلى 9 من كتاب الأمثال. وفي كل الأحوال تعلّم هذه الأمثال أنّ مصدر الحكمة هو الله، ولا وجود لحكمة حقيقية إلاّ من لدنه تعالى.

بسم الله تبارك وتعالى

مقتطفات من أمثال النبي سليمان الحكيم

غاية الأمثال[٤]

يقول ملك بني يعقوب سُليمان بن داود هذه الأقوال،
لإرشاد الناس إلى الآداب وحكيم الأمثال،
ولتدبّر كلام الحكماء،[٥]
وانتهاج حياة العُقلاء.
ففيها يتجلّى الحقّ والعدل والصراط المستقيم،
وبها تتفتّح بصيرة البسطاء.
إنّها النور والجلاء لغير الخبراء،
بها يزداد الحكيم عِلما
والراشد هُدى وفهما.
فيتدبّر معانيها الرشيد
ويسبر الألغاز ومعاني أقوال الحكماء.
إنّ جوهر الحكمة تقوى الله،[٦]
أمّا من احتقرها فهو من السفهاء.

---

[٤] استنادا إلى سفر الأمثال 1: 1-7.

[٥] انظر سورة العنكبوت: 43.

[٦] قارن بما جاء في الحديث: "وَرَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ". الجامع الصغير، 1609.

نصائح الوالدين[٧]

يا بنيّ أصغ إلى أبيك وما ينبس إليك من توجيه،
ولا تغفل عن أمّك وما تقدّم إليك من تنبيه.
إن نصائح الآباء تيجان للأبناء
وزينة على صدورهم وبهاء.
يا بُني، إنْ بسط لك الآثمون مغرياتهم،
فلا تسر إلى رغباتهم.
وإن قالوا: "انضمّ إلينا إنّا لجماعة أقوياء!
إنّا بالناس متربّصون
نريد سفك الدماء
إنّا بالدّماء البريئة منتشون!
فلنبتلعهُم كما تبتلع الهوّة السوداء معشر الأحياء
لننزلهم إلى القبر وهم أصحّاء،
ولنسلبهم ممتلكاتهم الفاخرة فنكون غانمين
ولنملأ بيوتنا بالغنائم والثّراء!
فنصيبك مثلنا سواء بسواء".
فلا تتّبع يا بنيّ سبيلهم العرجاء،
ولا تسلك الطريق التي فيها يسيرون.
إنّهم يسارعون الخطى وقد بيّتوا أنّهم للجرم مرتكبون
ويتدافعون إلى سفك الدّماء.
إنّ الطائر إذا رأى صيادا ينصب شِباكا فرّ منه وتولّى
أمّا هؤلاء الأشرار فلأنفسهم يكيدون،
ينصبون كمينا فيه يهلكون
إنّ الطّامعين في مال ليس لهم،
يرهنون حياتهم، ألا بئس ما هم إليه صائرون.

---

[٧] استنادا إلى سفر الأمثال 1: 8-19.

نداء الحكمة[٨]

إنّ الحكمة تَصدح في الشّوارع والطرقات،
وتنادي بأعلى صوتها في الأسواق والساحات.
إنّها تستحث الحشود،
وتهتف عند مداخل المدينة بكل موجود:
أيّها الجاهلون،
أما آن لكم أن تتركوا جهلكم الشديد؟
حتّى متى بالسخرية يهيم السّاخرون؟
حتّى متى يُبغض الحمقى الرأي السديد؟
هلمّوا فاسمعوا نصحي وعتابي،
فتفيض روحي عليكم
وأبوح بحكمتي إليكم.
لطالما دعوتُكم لكنّكم لدعوتي رافضون،
ومددتُ يدي فكنتم غير مكترثين.
تجاهلتم نصائحي وولّيتم عن عتابي،
وإنّي لساخرة منكم حين يحلّ عليكم البلاء،
ولشامتة بكم إن استبدّ بكم الرعب والظلماء،
وتأخذكم محنتكم أخذ العواصف
وتطبق عليكم إطباق الزوابع والمخاوف
فتتخبّطون في ضيق وعناء.
وحينها بي سوف تستغيثون
ولكن هيهات ما من مجيب،
وحينها عنّي سوف تبحثون
ولا أثر لي أمام أعينكم ولا وجود.
لقد أبغضتم البصيرة والتبيين
واستهنتم بتقوى الله العظيم،

---

[٨] استنادا إلى سفر الأمثال 1: 20-33.

ورفضتم نصائحي
وولّيتم عن عتابي،
من الضلال الذي زرعتموه تنالون
ومِن عواقب مكائدكم تشبعون،
ألا إنّ الجهلة بضلالهم إلى الموت ينقادون،
والحمقى بغفلتهم في الهلاك يقعون.
أمّا السامعون لما أقول ففي أمان يسكنون،
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

نصيحة أبوية[٩]

يا بنيّ، أصغ لِما أقول
واحفظ في قلبك وصاياي
أعر أذنا صاغية لكلام الحكيم
وبادر بكلّ قلبك إلى إدراك الفهيم.
أجل، اجعل البصيرة غاية المراد
واطلب الفهْم في أقاصي البلاد،
يا بنيّ، إنّ الحكمة كالفضّة، فاسع وراءها ولا تتعبْ
وابحث عنها كبحثك عن الكُنوز والذّهبْ،
فمتى ظفرت بها، علمت حقيقة تقوى الله
وأصبحت من العارفين.
إنّ الله واهب الحكمة والهداية
ومنه ينبع الفهم والدراية،
ومنه الفلاح للمستقيمين
وهو حام للمخلصين.
إنّه للصالح العادل رقيب،
وللمتّقين حافظ ومنهم قريب.

---

[٩] استنادا إلى سفر الأمثال 2: 1-11.

يا بنيّ، بالحكمة تتبيّن العَدل والإنصاف،
وتهتدي إلى كلّ سبيل صالح قويم.
حينها تأخذ الحكمة بفكرك والشغاف،
وينشرح صدرك تبصّرا بالنّور المبين.
إنّ حُسن تدبيرك يحميك من الأعداء،
وفهمُك نصير لك في كلّ حين.

المزيد من النصائح[1]

يا بُني، بالحكمة تنجو من كيد الكائدين
وبها تنأى عن كذب الكاذبين.
إنّ الذين يحيدون عن الصراط المستقيم
يرتكبون الشرور فيفرحون
وبنفاقهم وزيغهم يستمتعون
وفي سُلوكهم ينحرفون.
إنّ سبلهم ملتوية ومآلهم الظلمات
فيها يسلكون مع مرتكبي السيئات.
إنّما بالحكمة تنجو من المرأة الغانية،
ولا توقعك بكلامها المعسول اللّعين،
تلك الّتي تخلّت عن شريك حياتها الأليف،
وكفرت بعهد الله اللطيف،
إنّ مَن يدخل بيت الغانية يفتح على نفسه طريق الممات،
فيهوي بجهله إلى عمق الظُّلُمات.
أجل، كلّ الذين يدخلون بيتها لا يعودون
وسبل الحياة لا يجدون.
يا بنيّ، اتّبع الصّالحين
واسلك طريق الصّدّيقين

---

[1] استنادا إلى سفر الأمثال 2: 12-22.

إنّ المستقيمين في الأرض يسكنون،
أجل، إنّما يعمّر الأرض الأبرار المخلصون.
أمّا الأشرار فعنها يُبْعَدون،
ويُنزع منها الغادرون.

لا تغفل عن الوصايا[٢]

يا بني، لا تغفل عن وصاياي،
احفظْها عن ظهر قلب،
إنّها تضيف إلى عمرك سنينا وعهودا،
فتنعم عيشا رغيدا.
زيّن عنقك بالأمانة والوفاء
واحفظهما في قلبك كالنقش الجميل
سوف يرضى عنك الله الجليل
ويُرفع شأنك بين العالمين.
وتوَكّلْ يا بنيّ ملء قلبك على المولى
ولا تظنّن أنك من دونه فهيم،
بل اسعَ في أعمالك إلى مرضاة الله تعالى،
فيهديك الصراط المستقيم.
لا تتباهَ بما تدّعيه من حكمة ورشاد،
واتَّقِ الله ولا تسلك طرق الفساد.
إنّ في ذلك الصحّة والسلامة والسّداد.
أكرم الله بما تنفق من مالك ومن بواكير محاصيلك،
إنّ هذه التقدمة تملأ مخازنك قمحا وشعيرا
وتفيض مَعاصرك عصيرا.
يا بُنيّ، لا تستخف بما ينزل الله عليك من بلاء
ولا تقنط إن عاتبك ربّ السّماء،

---

[٢] استنادا إلى سفر الأمثال 3: 1-12.

فمَن أَحبّه الله أَدّبه تأديبا،
كما يراقب الأب ابنا حبيبا.

قيمة الحكمة[٣]

هنيئا لِمَن بالحكمة يقنع ويرضى،
وبالفهم يحظى.
إنّ الفضّة لا تعادل مكاسبها
والذهب لا يساوي أرباحها.
إنّها أغلى من جميع اللّآلئ الكريمة،
ولا شيء يعادلها من كنوزك الثمينة.
إنّها تهب لك بيمينها عمرا طويلا،
وتعطيك بشمالها رخاء وشرفا جليلا.
طريقها تقود إلى الهناء،
ودروبها سالكة في كل الأنحاء.
إنّ الحكمة شجرة حياة ونعيم،
فهنيئا لكلّ من بالحكمة يعتصمون.
إنّ الله خلق الأرض بالحكمة والتبيين،
ورفع السّماوات بتدبيره الحكيم.
وتفجّرت الينابيع بعلمه العميم
وأمطرت من السماء الغيوم.

حسن التدبير منبع الحياة[٤]

يا بنيّ، كن الحكيم البصير،
ولا تترك حُسن التّدبير،

---

[٣] استنادا إلى سفر الأمثال 3: 13-20.

[٤] استنادا إلى سفر الأمثال 3: 21-35.

ولا تتركهما عنك يبتعدان،
ففيهما منبع حياتك فلا تدعهما ينفلتان،
وبهما يزهو عمرك ويزدان،
وبهما تلقى في طريق حياتك الأمان،
فلا تعثر في طريق الحياة القدمان.
وتخلد إلى النوم بلا خوف مرتاحا،
وتنام نوما عميقا
ولا تخش أن تباغتك مصيبة أو بلاء
إنّهما ينتظران الأشرار،
لأنّ الله لك حفيظ ستّار
ويحرسك فلا تقع في فخ الآثمين.
احترس أن تمنع الخير عمّن يستحقّون،
إذا كنت إلى الخير من المهتدين.
لا تؤجّل عطاء أصحاب الأجر، إنّه حقّهم اليقين،
وإن كنت قادرا على عونهم، فلا تصرفهم خائبين.[٥]
ولا تُحِكِ الدَّسائس لجارك
إنّه بجوارك في أمان يقيم،
واحذر أن تكون من الظالمين
فتكون لمن لم يؤذك من المخاصمين.
ولا تكن للظالمين حسودا،
ولا تقلّدهم تقليدا.
إنّهم عند الله مقيتون،
وأمّا المُتّقين فأنقياء مقرّبون.
وإنّ لعنة الله تطارد معاقل الأشرار
أمّا بركته فتحلّ على بيوت الأبرار.
إنّ الله يسخر من المستخفين

---

[٥] انظر الإنجيل، لوقا 11: 5-10.

وَيُنْعِمُ على المُتواضعين.
أهل الحكمة يرثون الإكرام،
أمّا الجهلة فينالون الهوان.

فوائد الحكمة[٦]

أصغوا يا أبنائي إلى ما يقول أبوكم،
نعم، أصغوا لتكونوا من أصحاب الفطنة والذكاء.
ولا تكونوا ممّن يهمل كلام النّصحاء،
إنّها نافعة صالحة للمنصتين.
فحين كنتُ محبوب أبي وعزيز أمّي
كان أبي لي من المرشدين
يقول لي بصوت حنون:
"اجعل وصاياي يا بُني في قلبك كالنقش الثمين،
فبها تعرف رغد النعيم.
اسعَ وراء الفطنة وحكمة الحكماء،
واحذر أن تحيد عن وصاياي،
أو تترك الحكمة التي تحميك،
وأخلص إليها فإنّها تنجّيك.
إنّ أعظم ما تظفر به أن تكون حكيما،
فابذل الغالي والنفيس حتّى تكون فهيما.
واجعل الحكمة غايتك القصوى،
حتى يُرفع مقامك فوق الورى
وتشبّث بها إنّها منبع للهيبة والاحترام
وعلوّ المكانة والمقام.
إنّها إكليلٌ يُتوّج رأسك
وتاج جليل يشعّ من فوقك".

---

[٦] استنادا إلى سفر الأمثال 4: 1-9.

طريق الفلاح والنجاة[٧]

يا بُنيّ اعمل بوصيّتي فبها يصبح عمرك طويلا،
إنّ كلامي إليك يرسم طريق الحكمة ويهديك سبيلا،
ستَسلك الطريق دون زلل، ثابتا لا تعترضك العقبات.
تمسّكْ بنصائحي ولا تغفل عنها،
وحافظْ عليها إنَّها طريق الفلاح والنجاة.
لا تتّبع خطى الأشرار،
ولا تسلُكْ طريق الفاسقين،
لا تدخل دروبهم المليئة بالأشواك،
بل ابتعدْ عنها وامض في السبيل القويم.
فهؤلاء لا يخلدون للنوم إلاّ وقد ارتكبوا سوءا،
أو جعلوا أحدا ينضمّ إلى المارقين.
فالظلم هو الخبز الّذي به يشبعون.
والعنف هو الخمر الّذي به يسكرون.
أمّا سبيل الصّدِّيقين فمِثل انبلاج الصباح،
إشراقه يتزايد مع النهار الوضّاح.
وطريق الأشرار تنتهي إلى الظلمات،
وفي سيرهم يتعثرون ويقعون ولكنّهم لا يفقهون.

تجنّب الكذب والرياء والبهتان[٨]

يا بُنيّ، انتبه إلى أقوالي،
واجعلها دائما على البالِ
أجل، اجعلها نصب عينَيك بالمرصاد،
واحفظْها دائما في الفؤاد.

---

[٧] استنادا إلى سفر الأمثال 4: 10-19.

[٨] استنادا إلى سفر الأمثال 4: 20-27.

فتكون حياتك حياة الهانئين،
إنّ أقوالي شفاءٌ للمهتدين.
واحفظ يا بنيّ قلبك من كل العيوب،
إنه أصل الحياة ومنبعها المرغوب.[٩]
وتجنَّبْ الكذب والرياء والبهتان،
أجل، تجنّب كلّ أنواع الزيغ في الكلام.
وانظرْ إلى الأمام بعين اليقين
ونحو هدفك صوّب النظر المستقيم.
واتّبع سواء السبيل فهو ثابت وأمين،
ولا تنحرف إلى الشمال ولا إلى اليمين،
ولا تسر على خطى الظالمين.

تحذير من الفسق[١]

يا بُنيّ أصغِ إلى حكمتي وأقوالي
وأنصت إليها جيّدا واتّبعها في كل الأحوالِ،
حتى تُحسِن لحياتك التدبير
وتنطق نطق العاقل البصير.
احذر من الغانية فإنّ شفتيها عسلا تقطران
وكلامها كالزّيت يسيل من اللسان.
ولكنّها في الحقيقة أمرّ من الحنظل والزقّوم،
وحادّة كسيفٍ مسنون.
فحذار أن تقع في حبالها فتهوي إلى دركات الفناء،
وبخطواتها تفتح لك طريقا إلى الظلماء.
إنّها لا تكترث بالسبيل السويّ الذي يوصل إلى حياة الهناء،
بل تسلك في غفلتها طرقا ملتوية عرجاء.

---

[٩] انظر الإنجيل، متّى 12: 34.

[١] استنادا إلى سفر الأمثال 5: 1-14.

والآن يا بنيّ أصغ إليّ جيّدا وانتبه إلى أقوالي
ولا تَحِدْ في سبيلك عن الكلام التالي:
تجنّب تلك الغانية اللعوب
ولا تقترِبْ من عتبة بيتها الكئيب،
لئلاّ تهتزّ كرامتك أمام الآخرين
وتخسر بلا رحمة ما جمعته عبر السنين،
ويشبع الغريب مِن مكسبك الثمين،
وتؤول خيراتك إلى الآخرين.
وتصبح نحيلا وتنتهي أيامك بأنين.
وحينها تقول: "كم أبغضتُ من يقوّمني في صباي
واستخففتُ بنصائحه إليّ
وصراخه عليّ.
ليتني أصغيت للكلام السديد
ليتني لم أهمل قول من علّمني الفعل الرشيد.
أمّا الآن فقد صرت أمام الملإ من الخاسرين.

افرح بزوجتك[٢]

اعلم يا بنيّ أنّ زوجتك مباركة كالماء
فلا تشرب إلاّ من بئرك ذات الصّفاء.
لِمَ تترك ينابيعك تفيض إلى جداول أخرى،
وتجري كالسواقي في السّاحات الكبرى؟
احرسها واجعلها لك لا للغرباء،
أجل، إنّها لك دون غيرك من الورى.
فلتسعد مع زوجتك منبع خيرك المرتجى
أجل، افرح بمن تزوّجتها في شبابك، فهي النعيم الحنون.
ما أجملها إنّها ممشوقة كالريم

---

[٢] استنادا إلى سفر الأمثال 5: 15-23.

ترتوي بحبّها كلّ حين،
وبهُيامها على الدّوام تَهيم.
فلماذا يا بنيّ تسعى وراء زانية لعوب،
أو تحضن غانية كذوب؟
إنّ الله بالإنسان بصير،
وعلى جميع أعماله رقيب وبها خبير.
يُؤْخَذُ بِشَرِّهِ الإنسانُ الشّرّيرُ
وتُوقِعُهُ حبائلُ إثمه الكبير.
ولا يكبح جماح شهواته فيهلك كالظالمين
ويُمسي بكثرة حماقته من الخاسرين.

تحذيرات أخرى[٣]

يا بُنيّ، هل وثقت في أحد الناس وكنت لدينه كفيلا
ولكنّه بات عن سداد الدَين غير قدير؟
وبسبب وعدك أصبحت عن هذا الدَين مسؤولا!
يا بنيّ اسمع نصيحة حكيم خبير،
لقد وقعت في فخّه الخطير،
فالتمس منه أن يسقط اسمك من الدّين
اذهب إليه حالا، قبل أن تخلد إلى النوم،
ولا تتردّد لحظة ولا تتراجع ولو قليلا،
فتنجو من المصيدة كالغزال،
وكالعصفور مِن الصيّاد وما له من نبال.

تعلّم من النّملة فقد صرت كسولا،
ألا تفقه يا بنيّ؟ انظر في عملها الدؤوب
فلا قائد يقودها ولا يرقبها رقيب

---

[٣] استنادا إلى سفر الأمثال 6: 1-19.

ولا مشرف عليها ولا دليلا
تجتهد طوال الصيف
فتجمع مؤونتها من الحصاد.
يا كسول، إلى متى تتكاسل وتنام مع النائمين؟
استفق من النوم المَهين!
تغفو بين عمل وعمل مع الكسالى البسطاء
وللراحة تطوي يديك في ارتخاء.
ولكن الفقر يباغتك كالمجرمين،
أو يسلب ما لديك كغزاة مسلّحين.[٤]

الأثيم اللئيم، وما أدراك ما الأثيم اللئيم
إنّه مراوغ سقيم
يكشف إلى رفاقه ما في صدره اللعين
فيغمز بعينَيهِ ويشير برِجليه
ويومئ بإصبعه في غش ورياء.
أجل، في قلبه يتربّع الالتواء
فيثير السوء والخِصام في كلّ حين.
وتباغته المحن الشقاء،
فينكسر في الحال ويصبح من الهالكين.

إنّما يبغض الله من الأمور،
ستّة أو سبعة ويمقتها مقتا:
عينان مُتعاليتان،
لسان لا يجري عليه إلا الكذب والبهتان،
يَدان لدماء الأبرياء سافكتان،
وقلب يتآمر لإرتكاب الآثام،

---

[٤] قارن المثلين من الأمثال الشعبية: "مَن لزم الرقاد، عَدِم المراد" و"مَن كَثُر نومُه اشتدّ فقرُه".

وقدمان إلى الظلم تحثان الخطى،
وشاهد لا ينطق إلا كلام الزور والبهتان،
ويثير النزاع ويفتّن بين الإخوان.

تحذير من الزنى[٥]

يا بُنيّ اِحفظْ إرشاد أبيك الحكيم
ولا تغفل عن تعليم أُمّك القويم
اِحفظه في قلبك كلّ حين،
وزيّن به عُنُقك خير التزيين،
فتهتدي به إلى سواء السبيل
ويحرسك في نومك الثَّقيل،
ويرشدك في يقظتك حقّ الدليل.
إنّ وصايا والديك مصباحٌ وإرشادهما ضياء،
فخذ منهما العتاب والتأديب حتى تكون حياتك في سواء السبيل.
إنّ وصايا والديك مِن الغانية تحميك،
ومن مَعسول لسان المخادعة تقيك.
فلا تفتتن بجمالها
ولا تُؤخَذْ بسحر عيونها.
إنّ معاشرة العاهرة قد يحرمك ثمن الرغيف البخس،
ولكن معاشرة المتزوّجة قد يؤدي إلى هلاك النفس.
فكيف للإنسان أن يحتضن نارا
ولا تحترق ثيابه من الشرر؟
كيف يمشي دون أذى على اللهيب والجمر؟
هكذا عاقبة مَن يعاشر زوجة الجار،
إنّ من يقترب منها حتما يُعاقب ويحلّ عليه الدمار.

---

[٥] استنادا إلى سفر الأمثال 6: 20-35.

إن مَن يسرق رغيفا لا يُلام
فقد سرقه وهو جوعان،
ولكن حين يُقبض عليه يجب أن يعيد ثمنه سبع مرّات،
حتّى لو كلّفه ذلك كلّ ما في داره من ممتلكات.
أمّا من يعاشر متزوّجة فقد وقع في جهل مبين
وبأفعاله الشنيعة يصبح من الهالكين.
فيلقى الضرب المبرّح والهوان،
وعاره بين الناس لا يُمحى،
وزوجها لن يتردّد ساعة الانتقام
ومهما عرضت مقابل شرفه رشوة لن يرضى
فالشرف والنخوة أرفع من الذهب وأغلى.

دعوة الحكمة[٦]

ألا اسمعوا إنّ الحكمة تنادي بصوت مبين،
وترفع صوتها عاليا للعالمين!
منتصبة تصدح مِن قمم المرتفعات
وفي محاذاة الطريق وعند مفترق الطرقات،
وعند بوّابات المدينة،
من حيث يدخل الداخلون.
إنّ صوت الحكمة يعلو، أيّها الناس هلمّوا إليّ منصتين!
أقبلوا يا بني آدم في الأرضين!
أيّها البسطاء ألا تعقلون؟
أيّها الأغبياء ألا تفهمون؟
أنصتوا إنَّ ما أَنْطِقُ به أمر عظيم،
فلا يصدر مني إلاّ الكلام القويم،
ولساني لا يلهج إلاّ بالصِّدق المبين،

---

[٦] استنادا إلى سفر الأمثال 8: 1-11.

وشفتاي لا تنبسان أبدا بكذب الكاذبين
إنّ كلامي صادق كلّه ونبيل،
لا مراوغة فيه ولا تضليل.
إنّه جليّ مبين،
لكلّ ذي فهم فطين
وعند أصحاب التبصّر المستنيرين.
أيّها الناس! خذوا بدل الفضّة رأي الحكماء
وبدل الذهب مشورة العلماء.
إنّ الحكمة خيرٌ مِن الحجر الكريم اللألاء،
وكلّ الجواهر لا تُضاهيها في البهاء.

هبات الحكمة[٧]

أنا الحكمة لا جار لي إلاّ تبصّر البصير،
ومنّي المعرفة وحُسن التدبير.
إنّ من يتّقي الله يُبغض الشرّ كلّ البغضاء.
إنّي لا أطيق الغطرسة ولا الكبرياء
ولا الفساد ولا خبث الخبثاء.
أمنح المشورة والرأي السديد
أمنح البصيرة والبأس الشديد.
بعوني يحفظ ممالكهم الملوك والسلاطين
ويُصدر الحُكّام أعدل القوانين
بعوني يحكم الولاة في العالمين
وبالقسط يقاضي الأمراء والحاكمين.
أُحبّ كلّ من يحبّني،
ومَن يبحث عني يجدني.
أمنح الكرامة والثراء

---

(٧) استنادا إلى سفر الأمثال 8: 12-21.

ودوام الخير والرخاء.
هباتي أثمن من خالص الذهب في النقاء،
وأفضل من نَقِيِّ الفضّة البيضاء.
أسلك طريق الحقّ والوفاء
واتّبع سبل الإنصاف والاستواء،
فأغدق على مَن يحبّونني كريم العطايا
كنوزا تفيض في خزائنهم وهدايا.

وجود الحكمة عند الخلق[٨]

فقد جعلني الله أصلا لكلّ المخلوقات،
وقبل أن يقيم أيّ عمل في الكون أقامني في ثبات.[٩]
مِن الأزل خلقني، منذ البدء،
من قبل أن يخلق العالمين.
أوجدني قبل خلق البحار،
وقبل أن يُفجّر المياه من أعماق الينابيع والغمار.
أجل، أوجدني قبل رسوخ الجبال
وقبل أن يقيم الهضاب والتلال،
وقبل أن يخلق الأرض برحابها والأوحال
وكنتُ هناك حين رسّخ السماوات
ورسم الأُفق على سطح المحيطات،
نعم، كنتُ هناك حين وضع الغمام في العُلى
وفجّر ماء الينابيع من الثرى.
وكنتُ هناك حين أرسى حدودا للبحار

---

[٨] استنادا إلى سفر الأمثال 8: 22-36.

[٩] يرى العديد من المفسرين أنّ وصف حكمة الله الأزلية هنا يقترب كثيرا من وصف كلمة الله الأزلية في الإنجيل: ((استحال الكلمة إلى كائن بشري وعاش في الدنيا بيننا))، والمراد بهذا الكلام تحديدا شخص السيد المسيح (انظر الإنجيل، يوحنّا، الفصل 1).

لا تعلو فوقها سيول ولا غمار،
ولمّا ألقى أساسات الأرض في اقتدار،
حينها كنتُ بجواره مصمّما ماهر التصميم،
نعم، كنت قرّة عين الله العظيم،
أفيض بهجةً ومرحا في الإله المتين،
ألا ما أعظم بهجتي بما خلق الله من عالمين،
ألا ما أشدّ فرحي ببَني البشر المخلوقين!

والآن اِسمعوا يا أبنائي الأعزاء،
إنّ كلّ مَن يتّبع طريقي يحظى بالهناء
اِسمعوا نصيحتي وكونوا حكماء،
ولا تتغافلوا عنها كالأغبياء.
هنيئا لمن يأتي إليّ مصغيا
وكلّ يوم يقضي ليله عند عتبة بابي مستهديًا
أمام مَدخل داري ينتظر ويرقب في شوق وحنين.
إنّ مَن ظفر بي ظفر بعيش الهانئين
ونال مرضاة ربّه الحليم
أمّا مَن ضلّ عني، فقد ألحق بنفسه أذى
ومَن أبغضني فقد اختار من الدنيا الردى.

الحكمة والجهالة[1]

قد شَيَّدَتِ الحكمةُ لها مقرّا
ونحَتَت أوتادها السّبعة نحتا.[2]
ذبحت ذبائح للوليمة ومزجت شرابا وفيرا،
وهيّأت لضيوفها مائدة تقديرا،

---

[1] استنادا إلى سفر الأمثال 9: 1-18.

[2] انظر الإنجيل، متّى 7: 24.

وأرسلت جَواريَها
إلى مرتفعات المدينة تستحثّ ساكنيها:
"تعالوا إليّ أيّها الجاهلون!"
إنّها تدعو عديمي الفهم من قاطنيها:
"تحلّقوا حول مائدتي، كُلوا من طعامي
واشربوا من شرابي المباح".
اُتركوا الجَهل واسعوا إلى الفلاح،
واسلكوا طريق المتبصّرين.
فمَن عاتب المتكبّر يُهان ويردى،
ومَن وبّخ الشّرّير يتأذى.
تُقَرِّعُ المتكبّرَ فيُبغضَك بغضا،
وتقرّع الحكيم فيزداد فيك حبّا ومنك قُربا.
أرشد الحكيم، يزدد فهما
وعلِّم الصدّيق، يزدد علما.

إنّ جوهر الحكمة تقوى الله،
وإن كنت بالقدّوس من العارفين،
فأنت من المتبصّرين.
بالحكمة تتضاعف سنوات عمرك
وتطول أيّام حياتك
إن كنتَ حكيما، تنفع نفسك،
وإن كنت مستهترا تؤذيها.

إنّ مَثَلَ الحماقة كمثل امرأة غبيّة طائشة،
جاهلةٍ بلا حياء.
تجلس عند باب بيتها في ارتخاء
فوق مرتفعات المدينة
تنادي العابرين:

"تعالوا إليّ أيّها الجهلة السّائرون!"
وتقول لعديمي الفهم الأغبياء:
"مياه الغانية حلوة المذاق،
وخُبزها لذيذ في الخفاء".
ولا يعلم القادمون أن من دخل بيتها صار من الهالكين
وإلى دركات الموت انحدر مع المنحدرين.

من أمثال النبي سليمان[٣]

الابن الحكيم لأبيه بهجة
والابن الغبي لأُمّهِ حسرة.
المال المسروق لا يثمر ولا يدوم،
أمّا المال بعرق جبينك فينجيك من الهلاك المحتوم.
الله لا يُهْلِكُ بالجوع الصالحين،
ولكنه قابض لشهوات الطالحين.
الكسول يهوي إلى مرتبة الفقراء،
والكادح يرقى إلى مرتبة الأغنياء.
العاقل يحصد صيفا ويكسب المراد،
أمّا المَعتوه فيغفو زمن الحصاد.
البركات تغمر رؤوس الأبرار،
والعنف مبطّن في كلام الأشرار.
ذِكْر الصالح خير وهناء،
أمّا الشرّير فإليه الفناء.

---

[٣] استنادا إلى سفر الأمثال 10: 1-7.

المزيد من أمثال النبي سليمان[٤]

الجواب اللّيّن يبدّد الغضب العظيم،
والكلام الموجع يلهب الغيظ الدّفين.
تزدان المعرفة على لسان الحكماء
وتنبعث الحماقة من أفواه السفهاء.
إنّ الله عليم بصير،
وهو رقيب على الصالح والشرير.
بلسم الكلام يملأ شجرة الحياة بالثمار،
أمّا الماكر من الكلام فيدفع الروح إلى الدّمار.
الأحمق بنصائح أبيهِ يستهين،
أمّا العاقل فيَقبل بالتقويم.
في بيت الصدّيق كنوز وثراء،
أمّا كسب الشرّير فيعود عليه بالكدر والعناء.
أفواه الحكماء للمعرفة ناشرة،
وقلوب البُلداء منها نافرة.
يمقُت الله قربان الأشرار
ويرضى بصلاة الأخيار.
يمقُت الله سبيل الخبثاء،
ويُبارك أصحاب العدل والسخاء.
ومن يحيد عن سواء السبيل يلقى عسير الجزاء،
ومَن لا يقبل باللوم والعتاب فمآله الفناء.

ومن أمثال النبي سليمان أيضا[٥]

صيت حسن خير مِن غِنى عظيم،

---

[٤] استنادا إلى سفر الأمثال 15: 1-10

[٥] استنادا إلى سفر الأمثال 22: 1-6.

ورفعة الشأن خيرٌ من فضة وذهب ثمين.
الغنيّ والفقير متساويان،
لأنّهما من خلق الله الرحمن.
الفهيم الحصيف يجتنب الخطر
أمّا الأحمق فيندفع نحوه ومنه يأتيه الضّرر.
إنّ الخشوع والتقوى
ثوابهما غنى وكرامة وحياة فضلى.
أمّا الفاسدون فطريقهم حُفَّتْ بالأشواك والمكائد،
ولا يأمن حياته إلاّ من عنها تباعد.
يا بنيّ، أرشد ابنك منذ المهد إلى الصراط المستقيم،
وحين يهرم لا يكون عنه من الزائغين.

نصيحة أمّ[٦]

ها هنا قول الملك لَمُوئيل، وفيه رسالة علّمته إيّاها أمُّهُ:

ماذا أقول لك يا بنيّ؟
ماذا أقول لك يا ابن أحشائي وقرّة عينيّ؟
يا ثمرة دعائي ونُذوري؟
لا تُبدّدْ يفاعة شبابك على النساء،
فقبلك هلك ملوك وأمراء.
لا يجدر بالملوك، يا لَمُوئيل،
لا يجدر بالملوك أن يسرفوا في الشراب الموفور،
ولا بالعظماء أن يُدمِنوا الخمور،
لئلاّ يَسكروا فيعبثوا بالقوانين،
ويُهمِلوا دَعاوى المساكين.
إنّ الشراب للهالكين،

---

[٦] استنادا إلى سفر الأمثال 31: 1-9.

للبؤساء المقهورين،
يشربون منه حتّى الثمالة فينسون فقرهم وتعاستهم إلى حين.
يا بُني، اِرفع صوتك دفاعا عن المستضعفين،
وعن حقوق جميع المظلومين.
اِرفع صوتك واحكُمْ عدلا وقسطا
وكن للبائس والمسكين من المنصفين.

المرأة الفاضلة[٧]

ما أصعب العثور على زوجة فاضلة بين النساء!
إنّ قيمَتها تفوق الذّهب اللألاء.
إليها يَطمئنّ قلب زوجها الكريم،
فتغنيه عن الكسب والثراء.
تأتيه طوال حياتها بالسّراء من دون الضراء،
تصنع من الصوف والكتّان خير الكساء
وتعمل في حركة دؤوبة بلا انتهاء،
فهي كالسُّفُن التجارية،
مِن كلّ الأرجاء تأتي بالمأكولات الشهيّة.
تسعى قبل طلوع الفجر
لتُهيِّئ مائدة لأسرتها، وعملا لخادماتها.
بارعة هي في شراء العقارات،
وماهرة في غرس الكروم.
تعمل بعزم واجتهاد.
وتعمل ليلا تحت ضوء سِراجها
باحثة عن الرّبح والصفقات،
تغزل الصوف
وتحيك جميل الثياب بإتقان.

---

[٧] استنادا إلى سفر الأمثال 31: 10-31.

تبسط يد العون إلى المساكين،
وتجود بمالها على المحتاجين.
لا خوف على أهل بيتها من ثلوج الشتاء،
فقد زوّدتهم بالثّوب الدّافئ الثّقيل.
وتصنع لنفسها أغطيةً ولحافا،
وتلبس الديباج والأرجوان أكنافا.
وبها علا شأن زوجها في المجالس والميادين،
وصار في المدينة من الأعيان المكرّمين.
وتُزوّد التجّار بالأثواب
فتبيع لهم جميل الجلباب.
إنّها تكتسي عزّة وبَهاء،
ولا تخشى قادم الأيّام السوداء.
تنطق بالحكمة على الدوام،
وتنبس بلطيف الكلام.
تنظر إلى شؤون بيتها في اهتمام،
ولا يتسلّل إليها الكسل يوما من الأيّام.
يلهج أولادُها بمدحها في افتخار،
وزوجها يثني عليها فيقول في إكبار:
"نساء كثيرات ماهرات،
أمّا أنت فتفوّقت عليهنّ جميعا، وكنت الأفضل بين النساء".
الحُسن خادع والجمال مصيره إلى الفناء،
أمّا المرأة الّتي تتّقي الله فلها المديح الوفير.
ارفعوا شأنها في المجالس بالثّناء،
فعملها يستحقّ المدح والتقدير.

مدخل إلى كتاب الخطيب الحكيم

أطلق صاحب هذا الكتاب لقب الخطيب على نفسه. وقال إنّه سليل للنبي داود (أو ربّما ابن له) وملك على قوم بني يعقوب. وعبر التاريخ رأى كثير من الناس في هذا القول أن النبي سليمان (عليه السلام) هو من خطّ هذا الكتاب، مستندين في آرائهم على عدد من الإشارات في هذا الكتاب إلى صفات حياة النبي سليمان. غير أنّ العديد من الباحثين المعاصرين يشكّون أنّ سليمان هو من ألّف هذا الكتاب معتبرين أنّ تسجيله تمّ بعد سنوات عديدة من زمن سليمان.

يصنّف الدّارسون كتاب الخطيب الحكيم (أي سفر الجامعة) ضمن آداب الحكمة للكتاب المقدّس. ولكن من الجليّ أنّ هذا النص ليس موجّها إلى شبّان محتاجين إلى الحكمة على منوال سفر الأمثال في الكتاب المقدّس، بل كان هذا الكتاب موجّها إلى الرّاشدين القادرين على تحمّل مواضيعها العويصة ووجهات نظرها المتضاربة، وكان مخصّصا بشكل خاص إلى نخبة شعب بني يعقوب في القديم.

وسعى الخطيب الحكيم إلى أن يستوعب معنى الحياة "في هذه الدنيا" معتمدا في ذلك على حكمته، ولكنّه اكتشف من خلال تجاربه أنّ البشر محدودو الإدراك إلاّ إذا أيّدهم الله، وهم في طبيعتهم لا يستطيعون تمييز مقاصد الله العليا لوجود الإنسان في الدنيا. وتتميّز كلمات الخطيب بشكّ كبير بخصوص ما يقدّره الإنسان في هذه الحياة فيجتهد النّاس لكي يقيموا بهرجا لتمجيد أنفسهم يدوم إلى الأبد، ولكي يغيّروا مصيرهم ويكسبوا السعادة، أمّا كلّ جهودهم فهي حسب تعبيره ((هباء في هباء))، وهو تعبير يتكرّر عدّة مرّات في هذا الكتاب. ويلاحظ الخطيب الحكيم أنّ كلّ الشؤون في هذه الدنيا تخضع للتبديل والخسران، وفي النّهاية سيلقى كلّ البشر الموت كبارا كانوا أو صغارا.

ينصح الخطيب الحكيم قراءه أن يستمتعوا بهبات الله في هذه الحياة وأن يخشوا الله ويطيعوا وصاياه، فالله وحده الباقي الصّمد وقيمته لا تعادلها قيمة.

بسم الله تبارك وتعالى

كتاب الخطيب الحكيم

أسئلة تجول في ذهن الخطيب الحكيم[٨]

هذه أفكار الخطيب الحكيم ابن النبي داود، هو الذي يعتلي العرش في القدس.

يقول الخطيب الحكيم: كلّ شيء عابر وهباء في هباء. أجل، زائل كلّ شيء كالهباء! ما الذي يجنيه الإنسان في هذه الدنيا من أعماله ذات الشقاء؟ جيلٌ يَمضي وآخر يأتي، والكون باق ثابت لا ينقضي.

تُشرق تلكم الشمس وتَغرُبُ في دوران يوميّ،
تُسرِع إلى مخدعها ثمّ تشرق من جديد
تهب الريح جنوبا ثمّ تنتقل إلى الجانب الشمالي،
تدور وتدور ولا جدوى من دورانها الشديد.
الأنهارُ في البحر انصبّت،
فما له لا يفيض
وتعودُ المياه إلى النبع الّذي منه انبجست.
فالأشياء دورانها لا ينقطع، دوران مرهق لا يحدّه وصف،
والإنسان عن الكلام لا يشبع ولا يكتفي،
والعين من النظر لا ترتوي
والأذُن عن السماع لا تتوقّف ولا تنتهي.
تلك هي الأحداث تحدث عبر العصور تُكرّرْ

---

[٨] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم (أي سفر الجامعة) 1: 1-11.

وما أنجزه الإنسان من أعمال في زمن مضى ها هو الآن يعيد إنجازه.
فلا جديد في هذه الدنيا يُذكر.
قد يقول أحدهم:
"انظرْ إلى ما صنعته يداي، إنّه لجديد!"
لكنّه في الحقيقة قديم، إذ إلى أيّ جديد في هذا الكون تنظر.
نحن لا نتذكّر السابقين
ولا أحد سيتذكّرنا من اللاحقين.

تجربة الخطيب الحكيم[٩]

أنا الخطيب الحكيم، جلستُ على عرش بني يعقوب في القدس، سعيتُ بكلّ ما أملكه من حكمة إلى أن أفهم ما يفعله الناس في هذه الدنيا، وسرعان ما رأيت أنّ الله كلّف الإنسان بمهمّة تنحني منها الأبدان. واكتشفتُ حين تدبّرت في هذه الأكوان، أنّ أعمال الإنسان هباء أو سديم، تنفلت من أيدينا كالنسيم.

لا يُمكن تقويم الأعوج، فكيف نروم التقويم؟
ونعجز أن نجد المفقود. فهل لبحثنا عنه من جهد سليم؟

فقلتُ في نفسي: "حكمتي تفوق كلّ ملوك القدس السابقين. وإنّي لحكيم خبير وبالمعرفة لعليم". فسعيتُ أن أتعلّم من الحكمة والحماقة، فوجدت أنّي ألاحق أمرا عابرا كالنسيم.

فمن كثُرت حكمته انثالت عليه الهموم
ومن ازداد علمه أصابه الشقاء.

تجربة الخطيب الحكيم الأولى: المتعة[١]

وقُلتُ لنفسي: "إنّي بالفرح خبير وإلى السعادة أسير!" ولكن ها أنا أرى أنّ المتع كالهباء المنثور. وقلتُ: "هذا الضحك غباء، وكلّ من وراءه يسعى لا

---

(٩) استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 1: 12-18.

(١) استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 2: 1-11.

يجني غير الصدى". وبعد تدبّر عميق، حاولتُ أن أشرح صدري وأسقي نفسي من الخمر العتيق. وسعيتُ أن أكون حكيما، لكنّي حافظتُ على الحمق والبلاهة أيضا، حتى أجد منبع سعادة الّذين عبروا الحياة الدنيا.

وأتيتُ أمرا مهمّا، فشيّدت لنفسي قصورا وغرَستُ كروما. وزرعتُ جنّاتٍ وبساتينَ، وغرستُ فيها أشجارَ فاكهةٍ ذاتَ أنواع لا تُحصى. وحفرتُ بِرَكَ ماء لأسقيَ البساتينَ اليانعةَ. وملكتُ جواري وعبيدا ومنهم من كان في بيتي مولودا. واشتريتُ أنعامًا وأغنامًا كثيرة يربو عددها عمّا ملكه ملوك القدس من قبلي. وجمعتُ من الملوك المجاورين كمّا هائلا من الذهب والفضّة. وأصبحت مجالسي تطربها المغنّيات ويسعدها المغنّون، والملذّات بالنساء الفاتنات تغشاها. ما من متعة أو شهوة إلاّ أتيناها. وكذلك صرتُ على القدس أعظم الملوك، وحِكمتي لا أنساها. ونهلتُ من الشهوات ما لذّ وطاب وما حرمت النفس شيئا من هواها، فتمتّعتْ بما أنجزته يداها. ولقد كانت إنجازاتي جزاء على ما بذلته من جهود. غير أنّي تمعّنتُ فيما أنجزته بجهد جهيد، فوجدتُه هباء وخواء، كأنّما ألاحق الهواء. فما الذي يجنيه الإنسان في هذه الدنيا النكراء؟

تجربة الخطيب الحكيم الثانية: جمع المال[٢]

ثمّ قرّرتُ أن أقارن الحكمة بالحمق والجُنون، وقلتُ: "سأجتهد في ذلك لعل من سيخلفني على عرش المملكة يستفيد من جهودي". فوجدتُ أنّ الحكمة أفضل من الحماقات، مثلما أنّ النور أفضلُ منَ الظلمات.

فالحكيم يرى في دربه النور، في حين يتيه الجاهل في الديجور. ولكنّي كنتُ على يقين أنّ كليهما سيلقى الموت مصيرا. فقلتُ في نفسي: "إذا كنتُ سألقى الموت كما يلقاه الجاهلون، فأيّ نفع في أن أكون حكيما؟ إنّ ما وصلتُ إليه هباء منثور. سيأكلنا التراب والديدان ويطوينا النسيان، حكماء كنّا أم جاهلين! وَخَزَنِي ما يجري في هذه الدنيا بألم شديد ونفّرني من الحياة نفورا. فكلّ ما فيها كان هباء منثورا، وكأنّني أمسك بريح ذات خواء. ونفرتُ من كلّ ما أنجزتُه بجهد جهيد، فكلّ ما كسبتُهُ في هذه الحياة سأتركُه لِخَلَفي، تُرى أيكونُ

---

[٢] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 2: 12-26.

حكيما أم هو في غبائه سعيد؟ وفي النهاية سيملك ما كسبتُه وبذلتُ فيه حكمتي وشقائي. إنّ هذا أيضا هباء في هباء.

أكلني اليأس فجهودي الّتي بذلتُها في هذه الدنيا ستذهب بددا. فكيف يترك الحكماء أهل الفهم والإتقان، ما جَمَعَتْهُ أيديهم لأهل الخمول سدى؟ إنّ هذا كذلك هباء في هباء ومأساة كبرى. أتُرى الإنسان في هذه الدنيا، جنى ثمار جهده الذي وفّى؟ نكابد في حياتنا الآلام والشقاء، فنعمل طيلة النهار، وتحت الأقمار لا يَهدأ لنا بال، ولا نركن للصفاء. لكن هذا أيضا هباء في هباء.

ثمّ قلتُ: لا خير للإنسان إلاّ في الأكل والشراب، وأن يكون بأعماله في رضى، إنّ هذه اللذّاتِ نعيمٌ من الله الوهّاب. فلا أحد يستطيع أن يأكل أو يتنعّم بحياته إلاّ بفضله تعالى. والله يمنح للمرتضى حِكمةً وانشراحا وعلما، ويجعل الآثمين وراء الثروة لاهثين وبجمعها منشغلين، ويعود هذا المال في النهاية إلى من يسرّ به ربّه وعنه يرضى. إنّ هذا كلّه هباء في هباء، وكأنّنا نلاحق ريحا ذات خواء.

كل الأمور مرهونة بأوانها[٣]

لِكلّ شيءٍ في هذه الدنيا أجل مرسوم،
ودورانه يدوم ويدوم:
ولادة وفناء
زرع وحصاد
قتل وإحياء
هدم وبناء
ضحك وبكاء
رقص ورثاء
حجارة مبعثرة وأخرى مجمّعة للبناء
عناق وفراق
كسب وخسارة
حفظ وعطاء

---

[٣] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 3: 1-15.

تمزيق الثياب وترقيعها
صمت وكلام
كراهية وهيام
حرب وسلام

ماذا جنى الإنسان من جهده الجهيد؟ إنّ الله ألقى على الناس أوزارًا ذاتَ ثقل شديد. وجعل الله كلّ شيءٍ جميلٍ في أجله المسمّى. وزرع في فؤاد الإنسان توقا إلى الخلود. لكنّ الإنسان لا يمكنه أن يسبر غور عظمة أعمال الله مِن البداية إلى النهاية. فرأيتُ أنّ ما من شيء خير للإنسانِ من أن يفرح ويستمتع مادام على قيد الحياة. فقلتُ إنّ الله أنعم علينا بالسعادة، فليرضَ الإنسان بالأكل والشراب وبما تثمره أعماله من عند الوهّاب. وأدركتُ أنّ كلّ أعمال الله باقية إلى الأبد، لا زيادة فيها ولا نقصان. ومقاصد الله منها أن يهابه الإنسان. وجعل الله الأحداث كلّها في دوران بلا منتهى، فما حدث فيما مضى، هاهو أمامنا يتجلّى، وما تراه الآن سيحدث لاحقا.

الإنسان والحيوان: المصير[٤]

ولقد أبصرتُ أيضا في هذا العالم الظلم والعدوان، بدل القسط والعدل بين الإخوان، فقُلتُ في نفسي: "يجازي الله الصالحين وأهل الفجور، في أجل معلوم مرسوم، بحسب ما كانوا يعملون." فلا فرق في المصير بين الإنسان والحيوان. ولقد أبان الله أن ليس للإنسان فضل على الحيوان، إنّهما لهواء واحد يتنفّسان وللموت ذائقان، حياتهما عابرة غير ذاتِ قرار، إنها هباء في هباء. إلى مكان واحد ينتهيان، من التراب خُلقا وإلى التراب يعودان. فهل من مدرك إدراك اليقين أنّ روح الإنسان ستعلو إلى عليّين، وروحُ الحيوان ستركن في أسفل سافلين؟

لا أحد يرجعنا إلى هذا العالم بعد الفناء، فليجد كلّ واحد منّا بأعماله كلّ الهناء.

---

[٤] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 3: 16-22.

الظلم والشقاء والحسد[٥]

وتأمّلتُ الظلم في هذه الدّنيا:

فإذا دموع المظلوم في انهمار،
ولا أحد يخفّف عنه قهر القاهرين،
وسطوة الجبّارين.
أجل، لا أحد يخفّف عنهم ظلم الظالمين.

وقلت في نفسي: هنيئا للأموات! إنّهم أسعد من الأحياء حالا، بل هنيئا للذين هم في أرحام أمهاتهم لا يشكون خبالا، إنّهم لم يشهدوا قهرا وزورا، ولم يعاينوا في هذه الدنيا شرورا.

ولقد رأيتُ أنّ ثمار ما نعطيه من جهود، وأن رغبتنا في النجاح، يعودان إلى حسدنا للجيران والأقرباء لعلّنا نكون خيرا منهم. إنّ هذا أيضا هباء في هباء، كأنّنا نلاحق ريحا ذاتَ خواء. إنّ الكسول حين ينفر من العمل يجعل الخراب مآل حياته. وإليكم نصيحتي: حفنة طعام في هدوء ورضى، خير من حفنتين يرافقهما تعب وشقاء، وملاحقة ريح ذات خواء.

قيمة الأنس والوفاء[٦]

ولقد رأيتُ أمرا في هذه الدنيا بدا لي هباء في هباء، رجل لا نسيب له ولا أقرباء، يجتهد ويشقى في تجميع أموال لا تحصى، وحين تأتيه النهاية يسأل نفسه في حسرة وشقاء: "ها أنا وحيد، فلمن أشقى كلّ هذا الشقاء، ولمن أحرِم نفسي طعم الهناء؟" إنّ حياته هباء في هباء.

إنّ حياتك وسط الأصدقاء، خير لك من أن تعيش وحيدا، إنّ نجاحكم يكمن في تعاونكم.

فإذا فشلتَ كان صديقك لك عونا وسندا. يا حسرتاه على من يحيا ويسقط وحيدا. وذاك الذي ينام فريدا، فمن يبعث فيه الدفء والحنان في ليلة باردة؟

---

(٥) استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 4: 1-6.

(٦) استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 4: 7-16.

كيف لأحد أن ينتصر دون مساعدة على أهل العدوان؟ فإذا كان ذا رفيق صدوق، فعلى خصمهما سوف ينتصران. فإذا كانا ثلاثة رفاق فذلك خير لهم، إن الخيط إذا تثلّث عسُر قطعه في أيّ أوان.

ولقد رأيت شابا فقيرا حكيما وهو سجين، كان أفضل من مِنْ مَلِكٍ شيخٍ جاهلٍ لا يرضى بمشورة. فلمّا تحرّر ذلك الشاب الفقير من سجنه، جلس على عرش المملكة، بدل الملك الشيخ الجاهل المغرور ورأيت كيف اجتمع الناس ينصرونه حينما أصبح الملك المنصور. فاتّبعه عدد لا يحصى من الجماهير، بيد أنّ جيلا آخر سيأتي لن يكون له ظهيرا أو نصيرا. إنّ هذا أيضا مجرّد هباء في هباء، كأنّه يلاحق ريحا ذات خواء.

جوهر العبادة هو التقوى[٧]

إن دخلتَ بيت الله فادخله بخشوع وسكينة، وكن لله سامعًا فهيمًا، إنّ هذا لخيرٌ من الأضاحي الّتي يقدّمها الجهلة الغافلون. تمهّل فيما تقول، ولا تتجاوز قدرك في ما تقدّم من نذور، فالله في علاه، وما أنت إلاّ كائن أرضي، فلتكن إنسانا قليل الكلام حفيظ اللسان وقولك غنيّ بالمعاني.

الكوابيس ثمرة الهمّ المقيم
ومن الثرثرة يصدر القول السقيم

فانتبه إن نذرت للرحمان نذرا، وعجّل الوفاء، إن الله تعالى لا يَرضى عن الغافلين. ألاّ تنذر خيرٌ من أن تكون لنذرك من الغافلين. فلا يسوقنّك إلى الآثام الكلامُ، واجتنب حرج صدرك، فلا تخبر خادم بيت الله أنّ النذر كان سهوًا ومنك غير مقصود، فترد الله غاضبا عليك غضبا فيبدّد ما صنعته أياديك بددًا.

ما أكثر الأحلام،
وما أكثر الألغاز والكلام
ولكنّ التقوى هي واجب عليك بين الأنام.

---

[٧] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 5: 1-7.

معنى الغنى[٨]

لا تعجبنّ إن أبصرتَ ظالما يقهر المستضعفين في الأرض ويضع تحت قدميه الحق والعدل. فكلّ مسؤول يستند إلى حاميه وراعيه، ويحتميان بمن هو أعظم منهما. فحتى الملك يأكل ثمار الأرض، إنّ حُكمه يربُو من شقاء الفلاّحين. فمَن يحبّ المال لا يشبع، ومَن يحبّ الثروة لا يقنع. هذا أيضا هباء في هباء.

وكلّما ازدادت الخيرات ازداد طالبوها. فإن ذَوَتِ الثروة أمام عيون أصحابها، فماذا يجني من كوّمها؟ إنّ العاملين بكدّ، براحة النوم ينعمون، مهما كانت كميات طعامهم. وأمّا الأغنياء فأذهانهم مشتّتة في غير هناء، فهم بين جمع الأموال والخوف على ضياعها مشتتون، ومن الراحة محرومون.

هذه الدنيا تعجّ بالمآسي، فمَن يدّخر ليوم عصيب الثروات، قد يفقدها في صفقات خاسرات ولابنه لا يبقى شيئا. لقد خرج الإنسان من رحم أمّه عاريًا دون رداء، وكذلك يغادر هذه الدنيا وقد عانى منها كلّ الشقاء. أجل، يغادرها مثلما أتاها. فشقاؤه في هذه الدنيا شقاء من يلاحق ريحًا ذات خواء. ويعيش حياة يملؤها الهمّ والغمّ والضغينة.

غير أنّي أدركت بين كلّ هذه المآسي خيرًا: إنّ سعادة الإنسان، أن يكون ريّانَ شبعان وأن يجد في عمله في حياته القصيرة مُتعة، إنها هبة من عند الرحمن، فليرض بنصيبه من الله. فإن أنعم الله على المرء بالثروات، فلينعم بها قبل ضياع صحته وقبل الممات، إنها هبة من عند الرحمن، وعليه أن يرضى بنصيبه من الله. كذلك زرع الله في قلب الإنسان الفرح والضحكات حتى لا ينشغل في أيّامه المعدودات.

الرزق والقناعة[٩]

ورأيتُ في هذا العالم الشقاء المهول، وإنّه لوزر على أهل هذه الدنيا ثقيل: يَتَنَزَّلُ على أناس رزقٌ غدقا يفيض عليهم كالسيول، فهم ذوو كرامةٍ غيرُ

---

[٨] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 5: 8-20.

[٩] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 6: 1-12.

محرومين. ولكنهم فانون يتركون رزقهم لغريب من بعد أن يُنادي بهم الرحيل. فما أفظع هذا الشقاء إنه هباء في هباء.

وإن عاش الإنسان، حياة طويلة في الزمان، ورُزق مئة من الصبيان، ثم يحرم من زينة حياته، ولا يدفن دفنا كريما غير مهان، ألم يكن أكرم له أنه لم يولد؟ فالجنين حين يموت يختفي في الظلام، وتغيب هويّته عن الأنام. فهو في راحة لم يعرف الشمس ولم يدرك شيئا عن الدنيا، أمّا ذاك العجوز في شقائه يقيم ينتظره الموت وإن عاش آلاف الأعوام. ألا إن الموت مصير العالمين.

تمرّ حياة الإنسان في طلب القوت، لكنه لا يشبع أبدا.

فهل ترى للحكيم على الجاهل فضلاً ورشدا؟ وأيّ كسب للفقير حين يسلك رغم عسر الحياة نهجا سويّا؟ فاقنع بما ملكت يداك، واترك مطامع الأهواء، إنّ نفس المتلهّف المغرور، الذي إلى القناعة فقير، كمن يلاحق ريحا ذات خواء.

كلّ شيء في كتاب مسطور، وطبع الإنسان معروفٌ منذ القديم. فهل من جدوى أن يجادلَ الإنسانُ الفاني خالقَهُ العظيم؟ وكلّما تمادى الإنسان في جدال عقيم قلّت جدواه، إنّ الإنسان لا يصل بكثرة الكلام إلى مبتغاه.

ترى كيف يهتدي الإنسان إلى الخير وحياته فناء في فناء كالهباء؟ إنّ حياته زائلة فانية كالظلّ، فهل نعلم ما سيصيب الدنيا بعد أن تأزف ساعة الرحيل؟

خطوات نحو الحكمة[1]

صيتٌ مُعَطَّرٌ خير لك من عطر ثمين،

فتدبّر لحظة النزول إلى اللحد، إنها أدعى إلى التفكير من لحظة ولادة طفل في المهد.

إنّ بيت العزاء أدعى إلى التأمل من بيت الولائم والغناء.

فكلّ نفس ذائقة الموت،

وإيّاكم أن تكونوا عن الموت غافلين.

---

[1] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 7: 1-29.

فالشقاء في الحياة أكثر نفعا من الاستهتار،
إنّ المحن لقلب الإنسان صاقلة كالنار.
والحكيم هو من يتدبّر لحظة الموت.
أمّا الجاهل فلا يسعى إلا إلى اللهو.
أن يعاتبك الحكماء
خيرٌ وأنفع ممّا يقول الجاهل من إطراء.
فقهقهات الجاهل تتبدّد سريعا في الفضاء
كصوت الأشواك حين تُحْرَقُ تحت القدور
إنّ قهقهاته هباء منثور.
إنّ الحكيم الذي يسكت على الظلم أحمق ذو شرور،
وإنّ الرشوة تُعمي البصير.
وليست بدايات الأمور بل نهاياتها هو ما يثير المتأملين.
وإنّ تحمّلها والصبر عليها أنفع من التكبّر والفجور.
فلا تسارع إلى الغضب، إنّ الغضب يسكن صدور الجاهلين.
واحذر أن تكون ممن يحنّ إلى الأيام الخوالي، إنّ هذا عمل الجهّالِ.
فالحكمة خير يضاهي إرث الغنى، فهي لصاحبها طيلةَ حياتِهِ الحِمَى.
فتقبّل ما قدّره الله لك برضى، فلا أحد له القدرة على تغيير القضاء والقدر.
وتنعّم باليُسر مادام لك اليُسر، واعلم أن الله يقدّر العسير واليسير، وأن كلّ شيء يصيبه التغيير.
كلّ هذه الألغاز مرّت في حياتي وهي الهباء المنثور: الصالح يُقْصَفُ عمره في عزّ الشباب والطالح يعيش من العمر طويلا.
فلا تسرف في فعل الخيرات، ولا تبالغ في الحكمة. ولماذا تنخر منك الذات؟ ولا تتمادى في الشرور، ولا تطلق العنان للحمق والفجور، فقد يصيبك قبل الأوان الممات. فاسمع نصيحتي، الإعتدال خير في كل الأمور، تلك حكمة الأتقياء الأمناء.
إنّ قوّة الحكيم تعلو على قوّة عشرة في المدينة من الوجهاء. ولكن لا أحد اتّبع في هذه الدنيا الصلاح ثمّ كان من الخطإ معصوما. فلا تصغ إلى ما يقوله الناس، فقد ينقلون لك سخط خادمك أو شتائمه. وإنك بالشتائم التي ألحقتها

بغيرك لعليم.
وقلت في نفسي: إني أسعى بالقول والفعل أن أكون الحكيم، وكلّما اقتربت فَرَطَتِ الحكمة مني كالنسيم، إنّ منالها صعب على الدوام.
وسعيتُ وراء الحكمة وحقيقة الأمور، وعزمتُ أن أبرهن لنفسي أنّ من الحماقة الشرور، وأنّ الجهل من الجُنون. فوجدتُ أنّ المرأة الفاتنة مصيدة الرجال وأنّ عشقها أمرّ منَ الموت، ويداها الناعمتان أثقل من الأغلال!

فمن يتّقِ الله ينجُ ممّا تلقيه أمامه من حبال،
والفاسق في فخّها منطرح لا محال.

يقول الخطيب الحكيم: هذا ما خلصتُ إليه من حقائق بعد أن تدبّرت في تفاصيل الأمور، مازلتُ أسعى إليها، دون جدوى. وكذلك قال المثل:

"من بين ألف من الرجال ترى رجلا صالحا
وإني افتقدت المرأة الصالحة في ألف من النساء".

وخلصتُ إلى أنّ الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، ولكنّ الإنسان ارتدّ بنفسه أسفل سافلين.

طاعة الملك[٢]

مَن ذا الذي يشبه صاحب الحكمة الخبير؟ ومن مثله على تفسير الأمور قدير؟ فالحكمة تُشرق في قسمات وجهه كأنها المصباح المنير.
فأطع أمر الملك، لأنّك بايعته وأقسمت له اليمين. ولا تتهرّب من واجباتك نحوه فتكون من المتهوّرين، ولا تنضمّ إلى المتآمرين، فهو الآمر الناهي.
ومَن يجرؤُ أن يتحدّى الآمر الناهي؟ إنّه السلطان المهاب وكلامه سيف على الرقاب.
ومَن يطع الملك يسلم من العقاب. إنّ الحكيم هو الذي يترصّد اللحظة التي

---

[٢] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 8: 1-9.

يطيع فيها الملك. فالحياة عسيرة، وإنّ لكلّ أمر نهجًا وأوانًا. فإنّ ما سيحدث يُغلّفه الغيب والحجاب، فلا أحد يقدر أن يأتينا منه بالخبر أو الجواب. لا أحد يقدر أن يوقف رحلة الروح عن الأجساد، ولا أحد له سلطان ردّ الموت بين العباد، فأين المفرّ من لحظة الموت المرير، فلا نجاة للفاسق من ذاك المصير. إنّي تدبّرت في كلّ ما يجري في هذه الدنيا، ألا فانظروا إنّ الإنسان ما زال ظلوما كفورا لأخيه الإنسان.

لكل شيء حد[٣]

رأيتُ الناس يحملون أهل الشرور، في وقار وكرامة يأخذونهم إلى القبور، يمدحونهم في المدينة التي فيها اقترفوا كلّ جرم خطير. إنّ هذا لغز يثير الحيرة والتفكير وهو مجرّد هباء في هباء. إنّ المجرمين، الذين لا يعاقبون في أجل قريب، يصبحون أسوة للتابعين، فيقترفون مثلهم ذلك الجرم الرهيب. إن للمجرمين حياة طويلة حتى ولو ارتكبوا مئات الأضعاف من الشرور، ولكنّي على يقين، أن من يتّقون الله ويهابونه أحسن حالا وهم في عزة وحبور، أمّا الأشرار فلا يفلحون، وإن أعمارهم قصيرة وأيّامهم تمضي كالظلال، لأنهم لا يهابون ربّهم العلي القدير. ولقد رأيت في هذه الدنيا لغزا آخر محيّرا:

يعامل الصالحون معاملة الأشرار، ويعامل الفاسدون معاملة الأخيار. إنّ هذا هباء في هباء.

فعلى الإنسان أن يغنم ما لذّ له وطاب، ويتمتّع بالأكل والشراب، والفرح بحياته الشاقة الّتي وهبها له في هذه الدنيا الله الوهّاب.

وفي درب سعيي إلى الحكمة واليقين، رأيت ما يعانيه الإنسان في هذه الدنيا من شقاء فجافاني النوم كل الجفاء. ثم أدركت إدراك الموقنين، أن لا أحد يقدر أن يرفع الغشاء عما يجريه الله في هذه الدنيا بين العالمين، إنا كلّنا عن ذلك عاجزون، حتّى من زعم أنّه من أهل العلم ومن الحكماء.

---

[٣] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 8: 10-17.

ما تحمله الأقدار[٤]

وتأمّلتُ مليّا هذه الأمور، فرأيتُ الله يوجّه أعمال الصالحين والحكماء، ورأيت إرادته فوق ما يريدون، ولا أحد منّا يعلم إن كان الله قد قبلهم في حضرته قبول الرضى. وفي النهاية سنلقى الموت، فهو لنا المصير، التقيّ منّا والشرّير، والصالحون والطالحون، أهل الطهر وأهل النجاسة، وكل من قدّم القرابين، ومن كان بها من الجاحدين. ليس الصالحون عند الله أفضل من الفاسقين، ولا من نذر لله نذرا خير من الغافلين.

إن الموت هو المصير، وإنّ جميع الناس في هذه الدنيا سيلقون هذا البلاء المرير. وتمتلئ قلوبُ الناس بالشر والجنون، لكنّ الموت سيأخذهم وهم غافلون. فلا أمل إلاّ للأحياء، بذلك جاء المثل المأثور: "كلبٌ حيّ خير من أسد مقبور." إنّ الأحياء ليعرفون، أنّهم عاجلا أم آجلا للممات ملاقون، أمّا الأموات فلا شيء ينتظرون، إنهم في حجب النسيان. تلاشت منهم الأبدان، وتلاشى معها كل الحب والبغض والحسد الذي كانوا به يشعرون، إنهم عن الفعل في هذه الدنيا عاجزون.

فابتهج حين تأكل الخبز وتشرب الشراب، إنّ في ذلك رضى الله الوهاب. والبس ثياب الفرح كلّ حين، ولا تنس أن تضع العطر الثمين. وتمتّعْ مع زوجتك الّتي تحبّها في حياتكما الزائلة التي قد وهبها الله لكما، إن في فرحكما العزاء، من بعد طول تعب وشقاء. ومهما يكن واجبك فأقبل عليه بحماسة، إنك عندما تُلقى في القبور، لا عمل ينتظرك ولا تفكير، ولا معرفة ولا حكمة بعدئذ ولا تدبير.

ولقد رأيتُ في هذه الدنيا أمرا آخر: إنّ الفوز في السباق ليس لمن هو أسرع العدّائين، والنصر في القتال ليس لأجدر المقاتلين، والظفر بالرزق ليس لمن يحسنون التدبير، والغنى ليس للفهماء أهل التقدير، والفضل ليس لأهل العلم والأفكار، إنّهم جميعا ليسوا في منأى عن تقلّبات الأقدار. لا يعلم الإنسان متى يحلّ عليه البلاء، إذ تباغته المصائب والأرزاء على حين غرّة منه كما تقع الأسماك في الشباك فتُهلك، أو كما تقع العصافير في الفخّ فتُؤسر.

---

[٤] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 9: 1-18.

ولقد أبصرت في هذا المثل حكمة بليغة تنضح بالمعاني: مدينةٌ صغيرةٌ فيها الرجال قليلون، هاجمها ملك عظيم ذو شأن، ومن كلّ اتّجاه كان لها من المحاصرين. وكان فيها رجل حكيم ولكنه فقير مهان، فأنقذ المدينة بحكمته. ومع مرور الزمان لم يذكر الحكيم الذاكرون وصار في طيّ النسيان. صحيح أن حكمة الإنسان أقوى من عضلات الأبدان، ولكن من يبالي بحكمة الفقير، ومن ينظر إليها نظرة تقدير؟ وخير لك أن تسمع كلام حكيم هادئ من أن تسمع صراخ ملك جاهل. فالحكمة تتفوّق على ذخائر الحروب، وحمق رجل واحد يفسد من الخير الكثير.

نصائح تؤدي إلى الحكمة[٥]

الذباب الميت مهما قلّ عدده يُتلف طيب العطّار، ونزر قليل من الحماقة يلغي قدرا كبيرا من الحكمة والوقار.

يهتدي الحكيم إلى سواء السبيل
أمّا الجاهل فعنه يميل.

إنّ ثمرة الجهل تُرى في سلوك الجاهلين، إنّ السلوك مرآة الحمقى المغفّلين.

إن بدا عليك الحاكم غضوبا، فلا تترك مكانتك وما جعل لك نصيبا، وحافظ على هدوئك، إن في الهدوء نورا من الحكمة مرغوبا.

ورأيتُ في هذه الدنيا حكّاما يخطئون، يرفعون السفهاء إلى أعلى المراتب، ويدفعون الحكماء أسفل سافلين. ورأيتُ أيضا عبيدا يمتطونَ جيادا في خيلاء، وأُمراء يسيرون على أقدامهم أذلاء.

إن حفّار الجُبّ قد يقع فيه.
ومَن يُسقط جدارا قد تخرج منه حيّة ومن سمّها تسقيه.
ومَن يقتلع حجارةً قد تسقط عليه فتؤذيه،
ومَن يقطع حطبا قد يُصيبه الفأس فيدميه.

إنّ الفأس الكليلة تدفع صاحبها إلى التعب والشقاء، في حين تحثّ الحكمة دائما على النجاح والارتقاء. أيّ فائدة في أن تروّض حية أصابتك بسُمّها! الحكيم بحكمته يحصد الثناء، أمّا الجاهل فبحماقته يضمُّه الفناء. فكلامه من

---

[٥] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 10: 1-20.

أوّله إلى آخره لغو وثرثرة وسخافة وجنون!
من يعلم مستقبل الأيّام؟ ومن يكشف ما يحدث بعد موت الأنام؟
الجاهِل يُتعبه عمل قليل، وحين يقرّر الذهاب إلى المدينة يضيع عنه السبيل.
وا حسرتاه على بلاد يحكمها الحمقى غير الراشدين، ووجهاؤها يأكلون في بذخ ويشربون، ويقضون ليلهم في المجون! وهنيئا لبلاد حاكمها من أصل نبيل، يأكل وجهاؤها ويشربون في وقت معلوم وعلى قواهم يحافظون.
يتهاوى السقف على الكسول
ويتسرّب الماء إلى البيت لشدة ما أهمله المهملون.
تُدخل الولائم في النفوس بهجة وأفراحا، وتبعث الخمرة فيها انشراحا،
ويلبّي المال حاجة المحتاجين.
لا تلعن الملك ولو في أعماق ضميرك،
ولا تسُبّ الغني ولو كنتَ وحيدا فوق سريرك.
فقد يُفشي سرّك أحد الطيور،
فإلى الملك والغنيّ ترفع الأمور.

قيمة الحكمة في العمل[٦]

حمّل سفنك وأرسِلْها عبر البحار، فيوما ما ستعود إليك محمّلة بكنوز التجّار. وزّع أموالك على مشاريع عديدة، فأنت لا تعرف ما يخفي الزمن من مصائب شديدة. إن الغيوم إذا امتلأت فمنها الغيث سينهمر. وإذا وقعت شجرة فلا بدّ أن تستقرّ.
ومن يقضي زمانه في الانتظار، لن يُلقي في الأرض البذار.
ومَن يتوقّع الغيم الماطر، فلن يحصد القمح في البيادر.
من يضبط مسالك الرياح، أو كيف ينمو الجنين في الأرحام؟ ومن يعلم مراد الله فاطر الأرض والسماوات، وخالقِ ما فيهما؟
اِزرعْ زرعك في الصباح، واسع بلا انقطاع إلى المساء في عمل وفلاح، فأنت لا تعرف أيّ زرع ينبت من زروعك، وربّما ينبت كلّه على حد سواء.
ما أجمل أن نرى الأنوار، وما أروع أن نحظى برؤية شمس النهار! ومهما

---

[٦] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 11: 1-10.

طالت بالإنسان الأعمار، فليغنم الفرح في كلّ لحظة وحين، وليعلم أنّه لاريب نازل إلى الظلمات، وأنّا جاهلون بما هو آت.

تنعّم بالشباب ولا تُبالي،
وتمتّع بأيام الصبا وبالليالي.
واتّبع ما تريده القلوب،
وكلّ ما تراه عيناك وتشتهيه.
ولكن اعلَمْ أنّ الله رقيب حسيب.
فلا تدفع فؤادك إلى الهموم.
وابتعد بنفسك عن كلّ المهالك والسموم،
إنّ عنفوان الشباب زائلٌ، إنّه هباء في هباء.

اُذكروا خالقكم[٧]

يا أيّها الّذين آمنوا، اذكروا خالقكم في أيّام الشباب، قبل أن يهجم عليكم العجز والمشيب، فتقولون: إنّا بحياتنا لسنا مسرورين. نعم، اذكروه قبل التعب والكلال، قبل أن تغشى منكم العيون، فلا تبصروا أنوار الشمس والقمر والنجوم. اذكروه قبل أن تغطّي أيّام حياتكم الغيوم.

اذكروا ربّكم قبل أن تهرم منكم الأجساد، كالبيت يتداعى إلى التحطيم.
قبل أن يرتجف حرّاس البيت
وقبل أن ينحني أشدّاء الرجال تحت الهموم
وقبل أن تتعطّل الطواحين
وقبل أن يغشى الظلام العيون المتوارية خلف الجفون.
اذكروا ربكم قبل أن توصد الأبواب،
ولا يصلها ما في الشوارع
وقبل أن يخفت صوت المطاحن،
وتسكن زقزقة العصافير والتغاريد.
اذكروا ربّكم قبل أن تخشوا علوّ المكان
وقبل أن تهابوا مخاطر الطريق،

---

(٧) استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 12: 1-7.

أو يبيض شعركم كزهر اللوز
وقبل أن تزحفوا مثل جراد يحتضر على الأرض،
وقبل أن تزول الشهوة.
اذكروا ربّكم قبل أن تكونوا على حافة القبور، وأن تدخلوا بيت السكون ويبكيكم النّادِبونَ.
واذكروا خالقكم في سن الشباب، قبل أن ينقضي العمر وتنقطع سلاسله الفضيّة
وتنكسر أكوابه الذهبية
وقبل أن تسقط الجرّة عند العيون
وتنقصف البَكَرَةُ عند البئر،
كذلك يعود الجسد إلى التراب، والروح إلى خالقها الوهاب.

ما خلص إليه الخطيب الحكيم[٨]

قال الخطيب الحكيم: كلّ شيء هباء في هباء، زائل كلّ شيء كالهباء!
كان ذلك الخطيب حكيما، وعلّم الناس معارف وعلوما، درس من الأمثال كثيرا وصنفها ودبّرها تدبيرا، واجتهد فوضع القول الصريح حتى يعبّر عن الحقيقة بكلّ وضوح.
كلام الحكماء كالعصيّ والأوتاد، يستعملها الراعي لخير العباد.
ولك يا ولدي وصيتي الأخيرة: كن في كل أعمالك حذرا، إن في نسخ الكتب متاعب كثيرة، وإن في بلوغ العلم على الجسم إرهاقا كبيرا.
هذا يا ولدي ما خلصتُ إليه من تأملاتي: اتّق الله واعمل بوصاياه، فقد فُرض ذلك على جميع رعاياه. والله يجزي كلّ إنسان على ما أتاه، سرّا كان أم جهرا، حسنات كانت أم سيئات.

---

[٨] استنادا إلى كتاب الخطيب الحكيم 12: 8-14.